الْعُنْفُ ضِـدُّ الْمُقَـدَّس عِـنْدَ نيتشه

(قِراءة جدِيدَة)

د/نجــوى عـبد الستار عـبد الحمـيد

مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة

كلية الآداب - جامعة الزقازيق

المقدمة:

تعد مشكلة العنف من المشكلات التي تستدعي الكثير من الاهتمام والبحث،وبخاصه في تلك الآونة الأخيرة ، نظرا للتحولات التي تعيشها المجتمعات الإنسانية في هذا العصر، والتي اصطبغت بصبغة العنف بشكل كبير عن ذي قبل . فأصبح العنف من المشكلات التي تفرض نفسها علي التفكير الإنساني بوجه عام والفكر الفلسفي بوجه خاص،بالتالي أصبحت المحاولات التي تبذل من جانب الباحثين لمعالجة مشكلة العنف ضرورة لا غني عنها.لأنها إحدى المشكلات المعقدة التي تحتاج إلي الكثير من المعالجات ،فهي مشكلة إنسانية سلبية يرتبط وجودها بالوجود الإنساني . فقد يكتنفها الغموض في تحديد وتعريف ماهيتها،لمالها انعكاسات سلبية مدمرة علي حياة الانسان وقيمه الدينية والأخلاقية، فالعنف تفكير هدام غير أخلاقي وغير ديني . قد يتخذ صورا وأشكالا مختلفة، منها الجسدي الفزيائي والمادي الذي يشكل خطورة كبيرةعلى الإنسان والمجتمع.بل أكثر من ذلك، فهناك عنف أخر أشد خطورة وهو "العنف الرمزي "القائم على التعصب الايديولوجى لما له من التأثيرات التي يتجاوز بها حدود العنف المادي ، لاتخاذه صورا وأشكالا مختلفة أيضا باختلاف دلالاته ، من عنف اجتماعي واقتصادي وسياسي وأسرى.... وغيره .

بينماالعنف الذى نتناوله في هذه الدراسة يتجاوز كل أشكال العنف وهو" العنف الديني".

وهنا تكون المفارقة، فىكيفيه الجمع بين العف والدين؟ أو العنف واللاعنف؟ وإذا جاز الجمع ، لابد من التساؤل عن طبيعة العلاقة بين العنف والمقدس؟علما بأن الجوهر الأخلاقي للدين ليس له علاقه بالعنف أو التعصب،إذا الربط بين العنف والمقدس لا يرجع الى حقيقة الدين ، لأن الدين رساله ألهيه أخلاقية تدعو الى التسامح والحب والحوار. لكن عندما أتخذ العنف الدين ستارا له ، جعل البعض يذهب إلى القول بأن الدين مصدرا للعنف يجد فيه العنف دلالاته ومبرراته . بينما يرجع المزج بين العنف والدين في حقيقة الأمر إلى التعصب الديني أو التطرف الأعمى، القائم على عدم إعمال العقل في تأويل النصوص الدينية، والاكتفاء بالتأويلات السطحية التي لا تمس جوهريه الدين .

وهنا يجد العنف مبرراته في تلك التأويلات السطحية مما يجعله يظهر في ثوبه الديني، ونطلق عليه" العنف الديني"، وفى نفس الوقت يكون مبرراً للعنف الذى يمارس على الدين. حيث يؤخذ كأداة تستخدمها بعض الاتجاهات الفكرية للعنف ضد المقدس الديني، ونشر الإلحاد كبديل للإيمان.مستشهدين بالفيلسوف الالماني " نيتشه :"وهو أحد أهم فلاسفة القرن التاسع عشر الذين كان لهم أراء عنيفة ضد المقدس الديني. فمن أقواله المشهورة " أملأحياتك بالخطر"، "عش في حرب دائمه " ،"نحن جميعا قتلنا الاله .."وغيرها من أفكار مأثوره عن" نيتشه "كانت بمثابة مدخل لتقديم قراءة جديدة تكشف حقيقة عنفه ضد المقدس الديني وإعلانه موت

الاله، التي هي من أهم أفكاره الفلسفية التي تُبين عنفيه ضد المقدس. كما استندت عليها كثيرا من الاتجاهات الفلسفية التي تبرر الإلحاد ، حيث تعددت قراءات الباحثين في تأويلها. فهناك الكثير من القراءات المعروفة التي تذهب إلى إقرار بإلحاد "نيتشه"،لأنه مارس العنف ضد المقدس الديني ، فأقتلع الدين من جذوره ، وأنهي فكرة الإله عندما أعلن موته.

ولذلك سوف نعتمد في هذه القراءة على النصوص قدر الإمكان ، حتى نبين لماذا وجه" نيتشه" العنف ضد المقدس بإعلان موت الإله ؟. وهل هذا الإعلان معناه إنهاء فكرة الألوهية؟
هل كانت أفكاره بمثابة المطرقة التي تهوي علي المقدس الديني من أجل الإطاحة بالقيم الدينية والأخلاقية، لكي نعيش في عالم من الفوضى والعدمية؟. كما ذهبت لذلك بعض القراءات . وإذا كان هذا التأويل غير صحيح فما هي حقيقة موقفه من الإله؟
هل مطرقته كانت تهوى علي التأويلات التي تقف حائلاً أمام إرادة الإنسان وقدرته علي الإبداع والعلو بالحياة؟ أي هل تهوى علي الضعف الملتصق بالتأويل المسيحي للقيم الأخلاقية ,بحيث يصبح التفكيك ضرورة من ضروريات الإيمان ؟.

وبالرغم من كثره القراءات التي قدمت من جانب الباحثين عن فيلسوفنا الألماني "نيتشه" إلا أن فلسفته ، تتسع لكثير من القراءات الجديدة ، لقدرته علي الإلمام بقضايا الإنسان و مشكلاته، واستخدامه الأسلوب الذي يجمع بين البساطة والعمق، كما يجمع بين الفكرة ونقيضها من أجل الوصول بالفكرة الى أعماقها.

وقد قسمنا هذه الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسية تتفرع في بعض الأحيان

المحور الأول : بعنوان" مفهوم العنف وعلاقته بالمقدس" وقد حاولنا فيه تحديد معني العنف وماهيته لمعرفة حقيقة مشروعيته،وذلك من خلال طرح بعض التساؤلات منها، هل للعنف تأسيس عقلاني أم غير عقلاني ؟.

هل العنف جوهر للحياة أم للعدم ؟.ما طبيعة علاقة العنف بالمقدس الديني؟ وهل المقدس الديني هو الذي يفرز العنف أم يحجبه؟

المحور الثاني : فقد جاء بعنوان" جدلية العنف واللاعنف عند نيتشه "وفيه حاولنا إلقاء الضوء علي السيرة الذاتية لفيلسوف القوة "نيتشه" باعتبارها دلالة مهمه، تفسر الاتجاه الفلسفي لأى فيلسوف ، ومن خلالها نستطيع معرفة حقيقة العنف ودوافعه،

وأين تكمن جذوره هل في النشأة والتربية؟ أم رغبات محاكاتية، كما يرى "روني جيرار "أن العنف يرجع إلى المحاكاة .فهل عنف" نيتشه "كان محاكاة " لشوبنهور " بسبب تأثره الشديد به ؟ أم أن عنفه ما هو إلا محاولة تفكيكية من أجل الكشف عن الحقيقة ؟وما هي حقيقة موقف" نيتشه" من المرأة وكيف استطاع أن يبدو قاسيا في الافكار والأسلوب، وفي ذات الوقت رقيق المشاعر والاحاسيس ؟ هل كانت فلسفته نتاج تلك العلاقة الجدلية بين العنف واللاعنف ؟.

المحور الثالث: وجاء بعنوان" نقد نيتشه للقيم الأخلاقية المسيحية" وفيه حاولنا طرح بعض التساؤلات,هل كان رفض نيتشه للأخلاق رفضا مطلقاً، بحيث يعيش الانسان في عالم به فوضى أخلاقية لانهائية ؟ أم أنه رفض التأويل المسيحي للأخلاق وسعي إلى طرح تأويل آخر أكثر واقعية؟ إذا كان نيتشه رفض الأخلاق المسيحية، لأن مصدرها الدين؟ فما مصدر الأخلاق عند نيتشه ؟ وهل الأخلاق عند" نيتشه "تقوم على الثنائية أم الوحدة؟ ولماذا أعلن "نيتشه "موت الإله؟ هل لأنه ينكر فكرة الإلوهية بشكلٍ مطلق أم نسبي ؟هل كان موقف نيتشه من الإله مؤسسا تأسيسا عقليا أم نفسيا؟
هل ربط نيتشه بين إيمانه بإرادة الحياة وموت الإله المسيحي؟ هل هناك علاقة بين فكرة العود الابدي وحقيقة موقف نيتشه من الإله؟

المحور الأول :مفهوم العنف وعلاقته بالمقدس:

للتعرف على مفهوم العنف وطبيعة علاقته بالمقدس، لابد أن نحدد أولاً تعريفٍ العنف وإن كان ذلك يمثل صعوبة بالغة. فمن الصعب أن نجد تعريفا محددا للعنف،لأن مفهوم العنف واسع الانتشار وكثير الغموض حيث تناولته تخصصات عديدة بأبعاد مختلفة، لتفسير السلوك الإنساني ومعرفة دوافعه وما يطرأ عليه من تغيرات فسيولوجية أو نفسية وعصبية واجتماعية ... وغيرها. من هنا إختلف تعريف العنف باختلاف العلوم التي تناولته، حتى أصبح من المتعذر وجود تعريف محدد للعنفٍ نظرا لمطاطية المفهوم. وفي الوقت نفسه نجد التناول الفلسفي للعنف يختلف تماما عن تناول التخصصات الأخرى، نظرا لأن الاهتمامات الفلسفية ترتكز في المقام الأول على الطبيعة الإنسانية، وما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني تحقيقاً لأماله وطموحاته المستقبلية من خلال علاقته بالعالم .فالعنف من المفاهيم التي شغلت الفكر الفلسفي كغيره من المفاهيم الأخرى التي تحتاج لكثير من التأمل تمهيدا للتحكم فيه أو ضبطه.

١- **الفلسفة والعنف:**

قد تناولت الفلسفة مشكلة العنف لأنه من المشكلات الفلسفية الوجودية لأنها المرتبطة بالوجود الإنساني سواء أكان ممارساً أو رافضاً للعنف .كما أن التناول الفلسفي للعنف لا يقتصر على الفلسفة السياسية فقط ولكن على الفلسفة بوجه عام .إلا أن المعالجة الفلسفية للعنف ليست بالأمر الهين لأن هناك تخصصات متعددة غير الفلسفة تدعي أن العنف موضوعها الشرعي والقانوني مثل العلوم العسكرية والسياسية والقانون وعلم النفسٍ والاجتماع وغيرهم من العلوم الأخرى التي تحاول الكشف عن ماهية العنف، وفقا لطبيعتها التقنية، ويترتب على ذلك أن الفلسفة يحق لها التحرك نحو العنف إذا كانت قادرة على تحقيق ذلك في نطاق اختصاصها بطريقه غير تقنية[١] . حيث أن الفلسفة لها أدواتها الخاصة في البحث مثل القدرة على تحليل المعاني ونقدها.

ولمعرفة معنى العنف لابد من الرجوع إلى السياق اللغوي والاصطلاحي فالعنف كما ورد في اللغة العربية" لسان العرب "مادة عنف يعني الخُرق بالأمر وقلة الرفق به ، وهو ضد الرفق Kindness وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله .واعتنف الشيء، أخذه بشدة، واعتنف الشيء كرهه واعتنف الأمر اعتنافا جهلته والأعنف والعنيف بمعنى واحد . وكما قال الشاعر "الفرزدق " :

إِذَا قَادَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدُ عَنِيفُ وَسَوَّاقُ يَسُوقُ

الفرزدقا

وفي المعجم الوجيز مادة" عنف :"عَنُفَ به وعليه عُنفاً :أخذه بشدة وقسوة، فهو عنيفاً[٢].

أما في اللغة الإنجليزية فنجد "violence "مشتقه من الكلمة اللاتينية " violentia"وتعني عنف أو الإظهار العفوي وغير المراقب للقوة، كرد فعل على استخدام القوة المتعمد، وتشتق مفهوم العنف في الإنجليزية أيضاً من المصدر " violate"بمعنى ينتهك أو يعتدي ، وتعنى ممارسة القوة البدنية "force" لإنزال الأذى بالأشخاص والممتلكات، كما تعني المعاملة التي تحدث ضرراً جسمانياً للشخص أو التدخل في حريته الشخصية، وهناك معان أخرى تشير جميعها إلى الهجوم واستخدام القوة الجسدية ورفض الآخر بصورة مختلفة(٣).

وبتحليل المعاني اللغوية العربية والإنجليزية للعنف ، نجد أنها أكدت على أن العنف يعني استخدام القوة والقسوة، والانتهاك، والإكراه، والكراهية والجهل ، رفض الآخر.

أما المعاجم الفلسفية، فنجد" جميل صليبا "يرى أن العنف مضاد للرفق ومرادف للشدة والقسوة، والعنيف هو المتصف بالعنف، فكل فعل شديد يخالف طبيعة الشيء ويكون مفروضا عليه من الخارج، فهو بمعنى ما، فعل عنيف، والعنيف أيضا هو القوى الذي يشتد صورته بازدياد الموانع التي تعترض سبيله كالريح العاصفة والثورة الجارفة، والعنيف من الرجال هو الذي لا يُعامل غيرة بالرفق ولا تعرف الرحمة سبيلاً إلى قلبه .وجملة القول أن العنف هو استخدام القوة استخداماً غير مشروع أو غير مطابق للقانون(٤).

أما" الدكتور مراد وهبه "نجده يُعرف العنف بأنه لفظه "violence "الإفرنجية مكونة من مقطعين (vi) وهو مقطع مأخوذ من نفس الجذر المأخوذ منه لفظ vitalityأي الحيوية .وهذا بالإضافة إلى أن ثمة علاقة في اللغة اليونانية بين biosأي حياة و biaأي عنف ونيتشه يربط بين العنف والحياة من حيث أن الحياة في جوهرها عنف لأنها مجاوزة لذاتها وهذه المجاوزة تعني رفض القديم مع الإبداع"(٥).

وبتحليل معنى العنف كما ورد في بعض المعاجم الفلسفية نجدها لا تختلف في تفسيرها للعنف عن أنه استخدام القوة والقسوة والانتهاك "Violation "ولكنها تختلف في مشروعيته وعدم مشروعية هذا الاستخدام، فالدكتور "جميل صليبا "يقول باستخدام القوة غير مشروع بينما نجد الدكتور "مراد وهبه" يقول

بالاستخدام المشروع، يؤكد على ذلك بالإشارة إلى ربط نيتشه بين العنف والحياة، فالحياة في جوهرها عنف .بينما الحياة في ذاتها ليست خيرة أو شريرة إنما هي الحركة الزمنية التي تتابع فيها أنماط الزمان الماضي والحاضر والمستقبل والعنف كما جاء في المعاجم فعل يمارس ويخالف طبيعة الشيء ويكون مفروضا عليه من الخارج .من هنا نتساءل كيف يكون العنف جوهراً للحياة؟

عندما يكون العنف جوهراً للحياة فإنه يصبح فطرياً كما يُرى" فرويد" "إن الميل إلى العدوان استعداد أصيل وغريزي في الإنسان، وهو يُشكل أعظم عقبة للحضارة وهذه الغريزة العدوانية ملازمة للايروس ومشاركة له في السيطرة ... إن معنى تطور الحضارة ينبغي أن يطرح الصراع بين الايروس والموت على نحو ما هو حاصل في النوع الإنساني .والحياة برمتها في هذا الصراع ولهذا فإن تطور الحضارة هو الصراع من أجل بقاء النوع الإنساني"[٦].

"فالعنف بالمعنى الفرويدي هو علاقة الحضارة العصابية الناتجة عن التراكم الكمي للعنف الطبيعي المنتهي إلى نقلة كيفية من العنف المدمر والمنظم والنتيجة القصوى لهذه العملية التراكمية هي تدمير الحضارة بذاتها من خلال فائض العدوان والعنف وفي النهاية انتصار الموت على الايروس[٧].وعندما يكون العنف فطريا فإننا نقر بمشروعية العنف.

وبناءً عليه نتساءل هل العنف مشروعاً، أي له تأسيساً عقلياً؟ فالعنف كما جاء في اللغة يعني الاعتداء والقسوة والانتهاك للحرمات والإكراه والأذى والجهل، فكيف يمكن أن يكون لهذه المعاني التي لم تختلف عليها اللغة تأسيسا عقلانيا؟ وفي نفس الوقت نجد أن المعنى المجازي لكلمة عنف ترديدا للاعقلانية فعندما يوصف جريان النهر مثلا بأنه عنيف حين تطغى المياه على الشطآن وتخرب كل شيء حوله هنا نجد العنف يرتبط بالقوة والعدوان والتخريب والدمار فكيف تكون هذه المعاني جوهرا للحياة؟ ولكي نربط بين العنف والحياة ونجعل العنف جوهرا للطبيعة بحيث يكون العنف فطري ويسهم في الحفاظ على الحياة وبقاء النوع الإنساني، فإذا كان ذلك صحيحا فكيف نفسر اللاعنف الموجود في الطبيعة الإنسانية؟ وبناءً عليه إذن فالعنف ليس فطريا لأنه فعل ضد الطبيعة أو فعل متعمد ضد الإرادة الظاهرة أو الخفية.

وتذهب الدكتور" منى أبو سنة "إلى أن العنف يتميز بخاصية اللاداتية وهو "فنومنولوجيا "قريب من القوة بسبب أن أدوات العنف مثلها مثل أية أدوات مهيئة لغرض مضاعفة القوة الطبيعية إلى اللحظة التي فيها تحل الأدوات محل العنف"[٨]. العنف بطبيعته أدوات وهو ككل وسيلة يظل على الدوام بحاجة إلى توجيه وتبرير

في طريقه إلى الهدف الذي يتبعه ويحتاج إلى تبرير يأمنه من طرف آخر، لا يمكنه أبدا أن يكون جوهر أي شيء"[٩].

إذاً فالعنف ليس جوهراً للحياة، وإلا كيف نفسر رأي" سارتر "في ربطه بين مفهوم العنف بالمعنى الأخلاقي والعدمية "nihilism" التي تحمل تصوراً معيناً للعنف ،تقتضي اللحظات الأولى للوصول إلى نوع معين من الضعف .weakness "سارتر" يتحدث عن نوع معين من الضعف. لأنه ينظر إلى العنف بوصفه رفضاً للامتثال إلى القوانين التي تحكم بأي شكل من أشكال الفعل، وتعتبر القوة هي التوافق تماما مع القدرة على الخضوع إلى تلك القوانين ذاتها وكنتيجة لهذا الجانب يمكن التأكيد على عدم جوهرية الأشياء أو لاماهوية كل شيء موجود فإن فهم العنف بهذا الأسلوب يعادل مرادف مشكلة العدمية "nihilism" والعدمية تؤكد على أن كل ما هو موجود لأجل العدم وفي هذا السياق يمكن تصور العنف على أنه وسيلة فقط من أجل العدم[١٠].

ومن هنا نرى أن هناك من ربط بين العنف والحياة، وعلى الجانب الآخر نجد أيضاً أن هناك من ربط بين العنف والعدم" الموت " .أي أن العنف لا يمكن أن يكون جوهراً للحياة، ونؤكد على ذلك بقول" جيمس دود "الذي يرى أن هناك ما يُسمى بغباء مبدأ العنف عندما يأخذ العنف ليكون حدثا تأسيسا أي أنه الهدف أو نهاية المطاف من هنا يأتي غباؤه. فالعنف في ذاته ولأجل ذاته لا يمكن أن يكون أساسا مناسبا لأي شيء، أي أن نأخذ العنف بوصفه حدثا تأسيسيا للتفكير[١١] .

ونخلص من ذلك إلى أن العنف لا يمكن أن يكون له تأسيس عقلي لأنه تفكير هدام غير أخلاقي. لا يمكن أن يُسهم في بناء أي شيء،أنه سلوك سلبي لا يمكن أن يكون جوهراً للحياة ولا أساساً للإبداع. ويؤكد على ذلك" ماركس "حيث كان مدركا لدور العنف في التاريخ باعتبار أن العنف له دور ثانوي، فليس العنف ما يقود المجتمع القديم إلى الزوال، بل التناقضات داخل ذلك المجتمع.كما أن ظهور المجتمع الجديد يسبقه اندلاع العنف، دون أن يتسبب ذلك الاندلاع في ظهوره، وهو ما يشبهه" ماركس "بالآلام التي تسبق الولادة دون أن تكون الولادة ناتجة عنها[١٢] . فالعنف ليس جوهر الحياة، فدوره ثانوي وليس أساسي في حركية الحياة، بالتالي لا يمكن أن يكون أساسا لأي إبداع، لأنه فعل منافى للعقل ومنتصارا للغريزة، لإثبات الأنا الفردية أو الجماعية.وبطبيعة الحال لا تتفق هذه الأفكار مع الفلسفة ومبادئها التي تتبنى الحوار على أسس منطقية وعقلية،ساعية إلى النقد البناء، الذي يأخذ أبعاد منطقية ومنهجية وأخلاقية، حيث تتمسك الفلسفة في نقدها بالحوار ومبدأ التسامح والتعددية، من أجل تطوير الوعي الإنساني والرقي به قدما ،وتحقيقا للتعايش بين الاتجاهات الفلسفية .وكل هذه الأدوات التي تتسلح بها الفلسفة، هي

نفسها الوسائل التي يجب أن نحارب بها العنف. فالخطاب الفلسفي بديل لأعمال القوة المفرط الذي يؤدي بالضرورة إلى انتهاك المعايير والحقوق والمقدسات Sanctuaries.فالعنف كمفهومٍ فقد الوزن الفلسفي، لأنه ظالم وغيرعادل وبالتالي فهو غير مقبول فلسفيا، لأن الفلسفة بطبيعتها تسعى إلى المحبة والحكمة[١٣].

ومن هنا نستطيع القول بوضوح أن الفلسفة لا يمكن أن تقر بمشروعية العنف. لأنها لا يمكن أن تستبدل العقل باللاعقل، والتسامح Tolerance بالانتهاك، حيث في الأغلب يقترن معنى العنف بالانتهاك Violation والتعدي فنجد معظم المحاولات التي تسعى إلى تعريف العنف تؤكد على أنه يجمع بين القوة المادية والانتهاك.فقد عُرف العنف بأنه استخدام للقوة المادية التي تجرح وتضر وتنتهك أو تدمر الناس أو الأشياء. فنجد على سبيل المثال Manfred Steger في كتابه" حكم العنف "يلفت الانتباه إلى أن العنف يضم مجموعة من المعاني بما في ذلك الإجبار، التجريح، الإهانة، العار، الانتهاك وتأسيسا على ما سبق نلخص إلى أن هناك تصورين للعنف التصور الأول يربط العنف بالقوة والتصور الثاني يرى أن ثمة علاقة جوهرية بين العنف والانتهاك والتصور الأول محدود بينما التصور الثاني شامل ومتسع[١٤] .

فالعنف انتهاك أو تعدي وتجاوز للحدود والمبادئ والمقدسات .

عندما يحمل العنف كل هذه المعاني فإنه يصبح سبباً لإعاقة حركية الحياة، والقضاء على أي طموح أو إبداع في هذا العالم. ومن هنا لا يمكن تبرير العنف، لأنه سيظل للنهاية فعل ضد الإنسانية ضد الحياة بكل صوره وأشكاله.حيث أن العنف لا يقتصر على العنف الجسدي الفيزيائي أو المادي المحسوس، بل هناك عنف آخر غير محسوس هو العنف الرمزي القائم على التعصب الإيديولوجي . " ليست فكرة الأيديولوجيا في حد ذاتها فكرة بسيطة أو ذات معنى واضح، فهي تستخدم أحيانا في بعض السياقات استخداما وصفيا محايدا. وفي هذه الحالة تنتفي دلالتها العقائدية، مثلما يحدث مثلا في حالة عالم الأنثرويولوجيا، عندما يقوم بوصف نظام ثقافي ما ،موضحا المعتقدات الثقافية والدينية والروابط الأسرية والأنظمة القانونية وغيرها من العناصر التي تحكمه ،وكيفية تفاعل هذه العناصرمع بعضها البعض .ولكن الاستخدام السائد لكلمة أيديولوجيا يفسر الفكر في ضوء ارتباطها بفرد أو مجموعة أفراد داخل الجماعة، أي بوصفها إطارا عقائديا أو رؤية العالم تتحدد من خلالها المبادئ الأخلاقية التي تحكم سلوك الفرد الذي يعتنقها"[١٥] .

وهذا النوع من العنف الأيديولوجي يستخدم باعتباره مسلمات بديهية ،ترجع إلى التربية والتنشئة الاجتماعية والفكرية. ويتمثل في الانتقال من الاعتماد المطلق على

القوة الجسمانية إلى الاعتماد على الأفكار واللغة والرموز والقوة الناعمة Soft power" العقل "ويعتبر هذا النوع من العنف الذي يرتبط بالأيديولوجيا أشد خطورة من العنف المادي، لأن تأثيراتها تتجاوز تأثيرات العنف المادي، حيث تصل إلى كل المجالات السياسية والاقتصادية والعقائدية والفكرية والأخلاقية وغيرها .
كما أن عملية ربط العنف بالأيديولوجيا ما هي إلا محاولات تبريرية لإضفاء المشروعية على ممارسة العنف من قبل الاتجاهات الاجتماعية والسياسية والفلسفية ...وغيرها والتي تهدف إلى تحقيق أهداف أو مصالح معينة .ولذلك يتخذ العنف صور مختلفة باختلاف دلالته من عنف سياسي واجتماعي وأسري واقتصادي وديني وغيره.

٢- <u>العنف والمقدس</u> :

إن العنف الذي نتناوله في هذه الدراسة يتجاوز كل أشكال العنف، إنه العنف الديني. وعندما نقول العنف الديني، فإننا نجمع بين متناقضين .وهذا الجمع يدفعنا إلى التساؤل كيف يفرز اللاعنف عنفا؟ وكيف نمارس العنف على اللاعنف؟ والجوهر الأخلاقي للدين ليس له علاقة بالعنف أو التعصب فالدين يلجم العنف أو يحد منه.

والسؤال هنا يطرح نفسه ما هي طبيعة العلاقة بين العنف والمقدس الديني؟ على اعتبار أن المقدس جوهر الدين، فالدين عند العرب يشير إلى العلاقة بين طرفين وتعني الإلزام والانقياد، الطرف الأول يعظم والطرف الثاني يخضع له، والعلاقة بينهما هي بمثابة الدستور المنظم لتلك العلاقة وتعني المبدأ الذي يلتزم به الطرف الثاني للانقياد للطرف الأول، وقد نعبر عن تلك العلاقة من خلال العبادة والطقوس الدينية التي هي بمثابة التزام من الطرف الثاني ويُعد الالتزام هو المحور الذي تدور عليه كلمة دين Religion [١٦].

بينما نجد التناول الفلسفي لكلمة دين يُعبر عن المطلق في إطلاقه والمحدود في محدوديته والعلاقة بينهما. فالدين يتصف بالاعتقاد في المطلق وتحديد علاقة الفرد بهذا المطلق وممارسة شعائر وطقوس معينة[١٧].

وهنا نتبين أن الدين يعني وجود طرفين، بينهما علاقة بمثابة الدستور المنظم لتلك العلاقة وهى تقوم على العبادة التي أساسها الإقرار بوجود المطلق في إطلاقه أي المفارق، والمفارق يدل على سمو الله على المخلوقات ومفارقته لها ،لأنه جوهر مجرد من المادة. وبما أنه يسمو على المخلوقات لأنه جوهر منزه عن المادة فهو مقدس Sacred والمقدس كما يعرفه الدكتور" مراد وهبة "في المعجم الفلسفي يكون :

١) أساساً كل ما يتصل بالأمور الدينية، فيبعث في النفس احتراماً ورهبة ولا يجوز انتهاكه.

٢) توسعاً، كل ما ينبغي احترامه من النظم والقوانين.

٣) عن دوركايم في دراسته للظواهر الدينية بالتفرقة بين المقدس وغير المقدس وقسم الاشياء إلى قسمين متميزين ومتباينين في طبيعتهما تبعا لذلك[١٨].

فالمقدس الديني هو المطلق"Absolute" ، مقابل المدنس أو النسبي "Relative"

وهو المتعالي غير قابل للانتهاك .لأنه ثابت أزلي، بينما المدنس أو النسبي فهو متغير ،لأنه طبيعي فان غير أزلي.والعلاقة بينهما بمثابة الدستور المنظم الذي لا يقبل التجاوز أو الانتهاك علاقة قديمة وضرورية. فالدين ضروري بالنسبة للإنسان، لأنه مرتبط به وقتما وجد هذا الإنسان على ظهر الأرض ، وقد ثبت هذا من دراسة الحضارات القديمة ،حيث نجد الحديث عن المقدس يظهر في التاريخ على نحو حتمي، ولم يأت دفعه واحدة، وإنما على دفعات ومراحل. وفي كل مرحلة يتجلى مفهوم الروح المطلقة على نحو تطوري منطقي ،حيث تصل الفكرة إلى أقصى تجلي لها في الديانات السماوية[١٩].

إذن احتياج الإنسان للمقدس إحتياج ضروري وحتمي يرتبط به الوجود الإنساني، لأنه حاجة فطرية متأصلة في الطبيعة الإنسانية ، وتاريخ الفكر الإنساني يشهد على ذلك. حيث نجد الإنسان قد انتقل من تقديس السحر ثم الأرواح، والآلهة المتعددة، ثم الإله الواحد، كل هذه المراحل تثبت مدى الحاجة إلى المقدس .حاجة الإنسان إلى القوى العليا التي لها علاقة بالعالم ووجوده الإنساني وتجعله يتمسك بالمبادئ والقيم الدينية والأخلاقية ، التي تحقق له الشعور بالأمان والاستقرار . فالدين رسالة أخلاقية تدعو إلى التسامح والحب والحوار، فكيف يكون الدين مصدراً للعنف كما يدعى البعض، فعلى سبيل المثال يذكر" دكتور مراد وهبه "في كتابه" العنف والمقدس "أن ظاهرة العنف من أهم الظواهر التي ميزت النصف الآخر من القرن العشرين وقد ارتبط العنف بالمقدس فوجد مبرراته الدينية التي تدعمه للدرجة التي أصبح فيها العنف هو أحد مظاهر التدين"[٢٠].

وباستقراء مظاهر العنف التي تحدث في مجتمعاتنا، نجد أن هناك مزجاً واضحاً بين العنف والدين. وهذا المزج لا يرجع إلى حقيقة الدين، لأن الدين –كما أوضحنا فيما سبق – رسالة إلهية أخلاقية تدعو إلى التسامح والحب والحوار . ولكن هذا المزج يُرجع إلى ما يُسمى بالتطرف الديني الناتج عن ظروف نفسية واجتماعية مضطربة " من الأبعاد السيكولوجية المهمة والواضحة فيما يمكن وصفهم بالمتطرفين أو الارهابين Terrorists بروز سمه النزوع التدميري – العدواني، وهذه

سمة ملازمة، إن لم تكن نتيجة طبيعية للتعصب وتسلط المتطرفين .ويتجلى هذا الأمر واضحاً في عدم قدرتهم على الحوار أو تقبل الآخر أو استيعاب الاختلاف والتنوع، وأيضا في الاستسلام للنظرة الأحادية والإحساس الدائم بالخطر والتفكير بمنطق المؤامرة، وبالتالي الشخص المتطرف دينياً يُعانى من اضطراب وتصدع علاقاته الإنسانية والاجتماعية مع الآخرين، فضلاً عن أنه يُعانى العزلة والإحساس بالاغتراب الثقافي والحضاري"(٢١).

٣- <u>الدين واللاعنف:</u>

إن التطرف الديني نتاج عوامل سيكولوجية وإجتماعية تتعلق بشخصية المتطرف وتفقده القدرة على الحوار وتقبل الآخر والتنوع، وبالتالي يبتعد كل البُعد عن جوهرية الدين الأخلاقية التي ترفض العنف وتتمسك باللاعنف والتسامح .ويؤكد لنا ذلك" روني جيرار "عندما يذكر أن الدين يدرأ عنا العنف محتجباً وراءه احتجاب العنف نفسه وراء الدين، فإذا كنا لانفهم الدين في كل حين،فليس معنى ذلك أننا خارجه، بل لأننا مازلنا داخله، أقله في الأمور الجوهرية .أن الجدالات الطنانة حول موت الله والإنسان ليست من المبدئية المتطرفة في شيء، بل هي لاهوتيه، أي ذبائحيه Molecular بالمعنى الشامل للكلمة، تُخفى مسألة الثأر التي لم تعد فلسفية بعد ما اكتسبت، للمرة الأولى صفة العينية المطلقة، إن الثأر المتواصل إلى ما لانهاية هو ما يُهدد بضرب البشر بعد موت كل ألوهية .فإذا انعدم التعالي القضائي الذي يثبت شرعيته العنف ويضمن تميزه النوعي في مقابل كل عنف لا شرعي، دينياً كان أم إنسانياً أما ما سوى ذلك، تركت شرعية العنف ولا شرعيته إلى تقرير كل امرئ مما يجعلنا عرضة لترجحات تمنيا بالدوار وتقضى على كل تميز بينهما"(٢٢).

فالدين يُبعدنا عن العنف بمبادئه وأخلاقياته التي وضعت من قبل المقدس، فالمقدس بدوره كما يرى" جيرار "داخل العنف سيتوقفه ويحجبه ويتستر العنف كهدف في شكل ديني ، وذلك لأننا لانفهم حقيقة الدين .فتقديم الذبائح التي يتخذها البعض دليلاً على العنف الديني. يتحدث عنها" جيرار "بانها ليست عنفاً إجرامياً دينياً أو إنسانياً بقدر ما هي إيقاف لاستمرارية العنف، لتخليص المجتمع من الفوضى والشرور وضياع الجماعة وتهدئة كل جوارح العنف المدمرة، ولتكون بمثابة الطقوس التي تذكرهم بالانتصار على نوازع العنف الموجودة داخل الإنسان . فالمقدس يحافظ على استمرارية الحياة البشرية وإلا ظل الثأر متواصلاً إلى ما لانهاية.

وعندما تُستبدل الضحية الآدمية بالحيوانية فهذا ضمان للحفاظ على الإنسان ،وإحتفال بالعنف دون تهديد للوجود الإنساني ،بالتالي تتضمن السلم عبر الإحتفال بالعنف. ويصبح الهدف الأخلاقي للعنف دينيا، يهدف إلى حماية الجماعة من عنف مضاد . فالذبيحة هنا تقوم بدور كابح للعنف أو كبش الفداء كما يسميه" جيرار " لوضع حد للعنف المضاد.

" الدين بالمعنى الحصري يُشكل وحدة مع مختلف أشكال الوقاية ، حتى الوسائل العلاجية نفسها ،تصطبغ بالصبغة الدينية سواء في صيغتها القضائية أو في صيغتها الفطرية المصحوبة بالطقوس الذبائحيه أكثر الأحيان .ما من شك في أن الدين بالمعنى الواسع، يؤلف واحدا مع الغموض، المحيط بكل ما يستخدمه الإنسان. للتحصن من عنفه الذاتي، من وسائل علاجية كانت أو وقائية، بما في ذلك النظام القضائي عندما يأخذ دور الذبيحة .هذا الغموض يتلازم مع خاصية التعالي Transendance الفعلي للعنف المقدس والشرعي في مواجهة مثوليه Immanence العنف الإجرامي واللاشرعي .فكما أن الضحايا الذبائحية تُقدم مبدئياً إلى آلهة تقبلها كذلك النظام القضائي يستند إلى لاهوت يضمن حقيقة العدالة "[٢٣].

هنا يتضح طبيعة العلاقة بين العنف والمقدس، فالمقدس يُهدئ من جوارح العنف القوية التي تسعى إلى التدمير، بما يُقدمه من مبادئ وقيم أخلاقية تكون بمثابة وسائل وقائية وعلاجية .متمثلة في شعائر وطقوس هدفها تحقيق السلام والعدالة داخل المجتمع.فحقيقة الدين لا يمكن أن تكون مصدرا للعنف، لأن الدين بمثابة الوقاية والعلاج من العنف التدميري .

ومن هنا كانت الفكرة الجوهرية لهذه الدراسة، كيف نُمارس العنف على اللاعنف أو كيف نوجه العنف نحو المقدس بهذا المعنى، ويبدو هذا في بعض الفلسفات الإلحادية والطبيعية والوجودية والذاتية .ومن أشهر فلاسفة الذاتية الفيلسوف الألماني" نيتشه "كنموذج لممارسة العنف نحو المقدس بمقولته الشهيرة" إن الله قد مات ."والتي جعلت البعض يطلق عليه فيلسوف العنف نبي القوة صاحب المطرقة التي حطمت المقدس .

المحور الثاني :جدلية العنف واللاعنف عند نتيشة:

١- **نشأة نيتشه الدينية :**

لمعرفة طبيعة العنف عند" نتيشه "لابد من القاء الضوء على سيرته الذاتية .إن فريدريك نيتشه فيلسوف ألماني ولد عام ١٨٤٤ في قرية" روكن "لمقاطعة سكونيا الألمانية ويرجع تاريخ أسلاف نيتشه إلى القرن السادس عشر .أكثر من مائتين من أسلافه معروفين وكلهم من الألمان .بحلول القرن الثامن عشر كانت العائلة كلها في الكنيسة اللوثرية.

دخول نيتشه الأول للكنيسة كان عن طريق الجد الأكبر" فريدريك أوجاست لودوفج "١٧٥٦ -١٨٢٦الذى ارتفع قدره إلى رتبة المشرف ، أي ما يعادل الأسقف . عائلة والدة" فريدريك أوجاست " كانوا قساوسة لوثرية لمدة خمس أجيال (١٦٠٠ – ١٧٢٥) والد زوجته والجد الأكبر كانوا أيضاً داخل الكنيسة .فقد كانوا يمثلون جيبلين دفاعيين عن المسيحية في حقبة الثورة الفرنسيةوالتي أحدى عنوانيها الفرعية أن الاعتقاد في المسيحية سوف يستمرإلى الأبد[٢٤]. ولذلك فأن لنشأت" نيتشه " تأسيساً دينياًواضحا.فقد كان ابنا لقس بروتستانتي ووريث لثلاثة أجيال من الكهانة من جهة أبيه وأمه . توفى والده وهو في الرابعة من العمر، بسبب حادث وهو في زهرة الشباب .فكان لهذه النهاية المأساوية لأبية والسابقة لأوانها، ذكرى موجعة له على الدوام ولا سيما أن وفاة أبيه أعقبتها وفاة أخيه الأصغر[٢٥] .

لقد ورث نيتشه عن أبيه نزعته الدينية العميقة ، حيث كان القس الورع التقى ، فكان لتلك النزعة تأثيرٍ كبيرٍ عليه بالأخص بعد وفاة أبيه . نظراً لتربيته في بيئة نسائية متدينة تديناً عميقاً ، وكان رقيق الاحساس والشعور مدللاً متديناً بسبب تربيته في بيئة نسائية متدينة .فقد أعتنت به أمه وأخته وأثنتان من عماته ،ووصل هذا الأعتناء لدرجة الإسراف في تدليله .وإقتران النزعة الدينية مع الاحساس المرهف جعل الناس آنذاك يطلقون عليه لقبٍ " القس الصغير".حيث كان يلذُ له أن يعتزل الناس ليطلع على الإنجيل منفرداً في خشوع تام أوٍ يتلوه على مستمعين في حماسة مشتعلة وشعور ملتهب ، حتى إن عينية كثيرا ما كانتا تجودان بالدمع اثناء القراءة . ولكن إلى جانب هذا كانت تكمن في داخلة قوة أخلاقية وكبرياء ، فقد كان ينفق حياته كلها يبحث عن الوسائل الجسدية والعقلية التي تقوى من نفسه وتخلق فيه رجولة مثلى[٢٦] .

بالرغم من تشبعه بالجانب الديني الذى يتسم باللين والرأفة" للاعنف "الا أننا نجده يتطلع الى القوة ، فيتجه بتفكيره نحو البحث عنها، يتساءل نيتشه :لماذا أنا ماهر جداً؟

" لماذا أعرف أشياء أكثر من الناس الأخرى ؟لماذا .،أنا في الحقيقة ، ماهر جداً ؟ لم أفكر أبداً في الأسئلة التي ليست أسئلة . أنا لم أجدد قوتي، أنا ليس لدى أي خبرة في الصعوبات الدينية الفعلية . لم أعرف أبداً ما هو الشعور بالخطيئة .إفتقدت تماماً أي معيار موثوق لدرجة ما يشكل وخزا للضمير . على أي حال ، لا يبدو أن وخزاً لضمير شيء محترم .فإذا ما قمت بفعل أكره أن أتركه متأرجحاً،أفضل تماماً أن أسقط العواقب والنتائج السيئة فيما يتعلق بقيمة الحدث .في مواجهة العواقب الشريرة ، يكون المرء على إستعداد لفقدان وجهة النظر الصحيحة التي يجب أن ينظر من خلالها إلى الفعل . يصيبني وخز الضمير كعين الشر"[٢٧] .

وذلك بالطبع نتيجة طبيعية للتربية النسائية التي لم تقدم له غير التدليل والتعاليم الدينية المتزمتة، حيث كانت أمه سيدة تقية ورعه تتمسك بمذهبها في تزمت ، فجاء أبنها شبيها لها في الورع والعفة وأدى هذا السبب، إلى هجومه على التقوى ، لكم إشتاق ذاك القديس التقى أن يرتكب الخطأ [٢٨] . وذلك ليس تمردا ورفضا لدين ،لأنه مازال كما وصفوة بالقس الصغير ولكن تمردا على الضعف والليونة وتلقيه التعاليم الدينية من هؤلاء النسوة ، فلم يرى" نيتشه "في تلك التربية غير مظاهر الضعف، فتمنى أن يرفض تعاليمهن، حتى لو كان في ذلك الرفض خطأ دينيا يرتكبه ، لأنه يريد أن يكشف عن قوته بالرفض . وعلى الرغم من أن الدين كان له دور أساسي في نشأته بحكم الوراثة والتربية، إلا أنه إرتبط في ذهنه بالضعف، بسبب من أشرفن على تلقيه التعاليم الدينية. .

أما أسلوبه في التفكير فقد ورثة عن أبيه ، يقول نيتشه "يستطيع الإنسان أن يعرف أبناء القساوسة البروستاتتين والمعلمين، من لهجة التوكيد الساذجة التي يتحدثون بها ، وهم العلماء عن نظريتهم كأنها ثابتة مقدما . ما داموا قد عرضوها في حماسة وحرارة صادرة من أعماق قلوبهم . فهم قد تعودوا بطبيعتهم أن يعتقد الناس فيما يقولونه ، لأن هذا كان جزءا من صناعة أبائهم ، فهو حينما يتحدث عن أبناء القساوسة البروستاتتين ، فإنما يتحدث عن نفسهوعن طريقته في التفكير"[٢٩] .

تلك الطريقة التوكيدية التي نجدها واضحة في كل كتاباته ، والتي توكد لنا أن" نيتشه "لم يخرج في كتابته عن روح القساوسة كما وصفهم بنفسه، حيث نجده يكتب قصائد شعرية في الإله المجهول عام ١٨٦٤ يقول فيها.

" إليه أنتَمَى
حَتَّى وإنْ بَقِيتِ إلَى هَذِهِ السَّاعَةِ
مُحَاطاً بالأشرار

أنَا لَهُ – حَتَّى لَوْ أحسَسْتِ بالرّوابطِ الَّتِي تَسْحَبُنِّي
فِي الْمَعْرَكَةِ إلى هَذِهِ الدُّنيا وَتُجْبِرُنِي عَلَى خِدْمَتِهِ
أنَا الرّاغِبُ هجرانه
أيُّهَا المَجْهُولُ أُرِيدُ أنَّ أعْرِفَكَ
أنتَ مَا مِنْ تَدْخُلُ فِي أعْمَاقِ رُوحِيِّ
أنتَ مَا مِنْ تُعَبِّرُ قلبَي مثلماَ عَاصِفهُ

أنتَ مَا مِنْ يَتَعَذَّرُ الْإمْساكُ بِهِ ، يا أيُّهَا الْقَرِيبَ!
أُرِيدُ أنَّ أعْرِفَكَ ، أُرِيدُ أنْ أُخَدِّمَكَ"[٣٠] .

لقد إتفق كل من كتب عن نيتشهفى أن فلسفته قد إمتزجت بحياته، وأصبح يتفلسف بكيانه كله وبوجوده الكامل، حيث يفكر بمشكلات ترتبط بالحياة التي يعيشها الإنسان ، فجعل حياته في هوية مع فكرة، بحيث يقضى على أي حد فاصل بينهما، ولا يثق بأي مشكلة عقلية لا تسرى مع الحياة في تيارها، ولا تنبع من أعماق شخصية من يفكر به[٣١] .

٢- <u>علاقته بشوبنهور</u> :

لما بلغ" نيتشه "سن الثالثة والعشرين من عمره إلتحق بالعسكرية ،مواجها نفسه، بسبب رغبته للعيش لحظات إنتصار القوة والبطولة، وعلى الرغم من إختلافها كل الإختلاف مع كونه مرهف الحس والشعور، إلا أنه كان يريد أن ينتصر على شعوره بالضعف ، فجمع بين الضعف والقوة في شخصية واحدة ،حتى مرض نيتشه لم يمنعه من الدفاع عن وطنه ألمانيا . لقد كان متحمساً للحرب إلى أن أدرك ضعف موقف ألمانيا، حيث أنها التي بدأت بالعدوان، فتخلى عن حماسه وثار ضد الحرب والتعصب عند الألمان[٣٢] .

لقد شاهد" نيتشه "في فرانكفورت – وهو في طريقة للحدود – الجنود الفرسان يسيرون عبر المدينة في موكب عسكري جليل . فكان هذا المنظر مصدرا أساسيا

لفلسفته" إرادة القوة Will to force "فشعر أن أسمى إرادة للحياة لا تجد تعبيرا لها في الصراع البائس من أجل البقاء ولكن في إرادة الحرب ، إرادة القوة ، إرادة السيادة . فإعجب بحياة الجندية، على الرغم من عدم إشتراكه في أي معركة ، لأنه كان بعيدا عن أرض القتال ، ومع ذلك جعلها مثلاأعلى له مع قله خبراته القتالية، لضعف بصره، الذى جعله يتجه إلى تمريض الجرحى.إلا أن رقة إحساسه جعلته يتأذى من منظر الدم، ولم يتحمل مشاهدته، ومع ذلك كان ينادى بالحرب والعنف [٣٣]. من هنا نجد "نيتشه" يقول" املأحياتك بالخطر ، شيد مدائنك على مقربة من بركان فيوزن، أبعث بسفائنك إلى البحار المجهولة، عش في حرب دائمة"[٣٤].

بدأ" نيتشه "يقرأ" لشوبنهور "كتابه" العالم كإرادة وتمثلاً "فوجد فيه ما إفتقده في نفسه حيث قال" :يعلمنا شوبنهور أن نميز بين الأشياء التي تحث حقاً على سعادة الإنسان، وتلك التي تفعل ذلك ظاهرياً فقط، إنه يعلمنا لا الثروة ولا السمعة ولا التعليم، يمكنها أن تنقذ الفرد من شعوره اليأس العميق الذي يحسه بسبب تفاهة وجوده. وأن كل سعي نحو هذه القيم تكسب معنى، إذا تم إخضاعها إلى أنبل وأسمى الأهداف .أن نربح القوة لكي تستخدمها بمساعدة الطبيعة لفترة وأن نصحح قليلا من حماقتها وسماحتها، في البداية لنفسك فحسب، لكن في نهاية المطاف من أجل الجميع"[٣٥].
لكن ماذا وجد نيتشه لدى شوبنهور حتى يتأثر به؟

يرى" شوبنهور "أن سعادة الإنسان ترتبط بإرادة الحياة التي تضفي القيمة على الأشياء، فلا يوجد شيء في الحياة له قيمة، إلا إذا كان من منطلق الإرادة التي تنقذ الإنسان من شعوره باليأس نتيجة إحساسه بتفاهه وجوده بدون إرادة. فالإرادة هي حقيقة الوجود، إرادة القوة هي إرادة الحياة وإرادة الحياة تعبر عن نفسها كإندفاع أعمى غير عاقل للحياة، فالإرادة تعني أن تريد، أن ترغب... ، ومن ثم فالإرادة هي الرغبات والإندفاعات والميول من كل نوع، وهي تمتد في ما وراء الحياة الواعية، لتشمل أيضا الحياة اللاوعية والطبيعة اللاعضوية، كذلك مثل قوة الجاذبية التي تجذب الحديد أي المغناطيس. وتتخلى عن الطبيعة العضوية بكافة درجاتها بدءً من النبات وحتى الإنسان، الذي تقترن فيه الإرادة بالمعرفة أو الوعي . غير أن هذا لا يعني أن الإرادة في حالة الإنسان تصبح عاقله، لأن عقل السواد الأعظم من الناس يكون تابعا للإرادة وفي خدمتها. فنحن لا نريد شيئا لأننا وجدنا أسبابا له، وإنما نجد أسبابا له لأننا نريده"[٣٦].

وبناءً عليه أن قيمة الشيء عند "شوبنهور" تتحدد من منطلق الإرادة، فعندما يتمسك الإنسان بإرادته فإنه يحقق وجوده، فالإرادة هي حقيقة الوجود، لأن فيها تحقيق للرغبات وما يريده الإنسان ومن خلاله يحقق وجوده. ولا تقترن الإرادة بالوعي عند" شوبنهور "لأنه يرى أن الوعي تابع للإرادة وليس العكس .فالإرادة عند" شوبنهور" ليست إرادة واعية لها هدف تسعى لتحقيقه. هنا وجد" نيتشه "في فكرة الإرادة عن "شوبنهور" مرآة رأى فيها العالم والحياة والنفس وخيل لهأن "شوبنهور " يخاطبه، والأكثر من ذلك اعتبره مربياً له فأطلق على إحدى كتبه عنوان "شوبنهور مربياً "لما أحسه من فضل في الكشف عن إرادة القوة، فالإرادة مبدأ كوني تشترك فيه كل الكائنات. ولكنه إختلف عن "شوبنهور" عندما تبنى الدعوة إلى التمسك بالحياة من خلال إرادة القوة في مقابل دعوة "شوبنهور" بعدم التمسك بالحياة، لأن شوبنهور رأى الحياة مليئة بالشرور والآلام ... وغيره، فتمرد عليها وإتجه إلى الزهد، نتيجة نزعته التشاؤمية.Pessimism

لقد كان" شوبنهور" أول فيلسوف يتحدث عن المعاناة – في هذا العالم – التي يحيط بنا بوضوح وجلاء واضطراب النفس والعاطفة والشرور وكل تلك الأشياء التي لم يستطع الآخرون ملاحظتها، بل حاولوا ترديدها، بجعلها في حالة منسجمة وإستيعابية. ولكن "شوبنهور"لفت تفكير الإنسان إلى المأساة والآلام الموجودة في العالم، أكثر من المشكلات الفلسفية ،فإمتزجت فلسفته بالروح التشاؤمية .رفض نيتشه تلك الرؤية التشاؤمية وتمسك بمبدأ الحياة، بإرادة القوة وليس إرادة الحياة فيقول نيتشه "ما عثر على الحقيقة من قال بإرادة الحياة، لأن هذه الإرادة لا وجود لها وليس للعدم إرادة كما أن المتمتع بالحياة لا يمكنه أن يطلب الحياة"[٣٧] .

فعندما يشعر الإنسان بأن الحياة تسلب منه، ويكون على وشك إفتقادها، هنا يكون معنى لإرادة القوة، لأن العنصر الأساسي في القوة هو الإرادة. في هذا الإطار نجدعندما شعر نيتشه بالمرض والضعف تمسك بإرادة القوة. فالمرض بوجه عام كان يؤثر دائماً في "نيتشه" تأثيراً عكسياً" ما إن دب فيه المرض واشتد حتى ثار عليه وعلى تشاؤم "شوبنهور" وإعتنق مبدأ القوة. فكان المرض محفزاً لإرادته موحياً إليه بالشجاعة، دافعاً به إلى توكيد حياته، على الرغم مما كان ينتابه طوال حياته من آلام في الرأس والعين والمعدة، وقد وصف معاناته للمرض بأنه لم يستطع تحملأي آلام ولا ينبغي أن يستطيع أن يحملني على أن أشهد زوراً في حق الحياة كما تبدو لي، فكان يتقبل الآلام كإمتحان ورياضة روحية ،وينكر على المريض أن يكون

متشائماً . فقال إن حياتي عبئاً ثقيلاً، لو كنت تخلصت منها منذ زمن طويل لو لم أرى إنني في حالة الآلام والحرمان هذه ، والتي تجعلني أقوم بأكثر الملاحظات والتجارب فائدة في الميدان الروحي والخلقي"[٣٨] .

بناءً عليه يقرر نيتشه أن قوة الإنسان تكون عندما يتجاوز آلامه ويسيطر عليها بطريقة أكثر إبداعا، حيث تكون إرادة القوة بينما الذين لا يستطيعون ذلك من المرضى والضعفاء فهم لا يستحقون الحياة، فلا يجب أن يكون لهم وجود في ذلك العالم لأنهم يفتقدون إرادة الحياة" إن ما يتم انتقاله وراثياً ليس هو المرض بل الحالة المرضية، العجز عن مقاومة خطر الهجرات الضارة، قوة المقاومة المحطمة ...الخ ولنعبر عن ذلك من ناحية أخلاقية نقول :الخضوع والتواضع أمام العدو"[٣٩] .

من هنا نجد مدى إختلاف "نيتشه "عن "شوبنهور" وتمسكه بفلسفة الحياة، عندما حول الآلام إلى طاقة فاعلة ، تلك الطاقة التي مصدرها الإحساس بالضعف، حيث يريد أن يتمسك الإنسان بالقوة والصلابة ويبتعد عن كل مظاهر الضعف من خلال القدرة على التأويل فإنقلب على "شوبنهور" الذى إمتزجت فلسفته بالروح التشاؤمية الميتافيزيقية، التي ترتبط برؤية العالم ككل، وتقبل منه فقط الروح الإيجابية، التي ترى العالم إرادة. وكما إختلف عن "شوبنهور" أيضاً عندما ربط الإرادة بالوعي وإستخدم إرادة القوة الواعية ، من أجل هدف سام، هو الارتقاء بالإنسان. لأنه رأى أن قيمة الإنسان تتحدد خلال الإستفادة من إرادة القوة لدفع حركة الحياة .فلكي تنمو الإرادة وترتقي بنفسها وتتجاوز ذاتها بإستمرار يقول نيتشه" لقد أودعتني الحياة سرها قائلة :لقد تحتم علي أن أتفوق أبداً على ذاتى "[٤٠]. فإرادة الحياة موجودة ضمنياً في إرادة القوة، فالحياة تسير على نحو متزايد بما فيها من إرادة القوة، وإرادة القوة تسعى جاهدة إلى الإعلاء من الحياة على ذاتها "فالحياة تتجه إلى الارتقاء"[٤١].

كما نستنتج من ذلك إختلاف "نيتشه" عن دارون أيضا الذى جعل مبدأ الحياة في فكرة البقاء للإصلاح، وإن كان قد تأثر به في فكرة الصراع ، ولكن ليس من أجل الأقوى جسمانياً ولكن من أجل الارتقاء بالحياة دائماً أبداً. لأن الصراع عند "نيتشه "ليس خارجياً بين قوتين ولكن صراع داخلي، صراع الإنسان مع ذاته للمزيد من العلو بالحياة والتطلع دائما إلى الأفضل، فيتفوق الإنسان على ذاته بما يضيفه إليها

من إبداعات .لقد تكون هذه الفكرة عند" نيتشه" تأسيساً للفكر الوجودي الذي يضع على عاتق الإنسان تحقيق وجوده .فالوجود يسبق الماهيةبالتالى يظل الإنسان في مشروع مستمرمن أجل تحقيق الوجود دون توقف، وإلا سيتحول إلى العدم .

ولأجل ذلك سعى "نيتشه "إلى تحديد الرؤية المستقبلية للإنسانية ، عندما وضع على عاتق الإنسان الإعلاء من ذاته والرقي بها، بإستثمار لإرادته الخلاقة المبدعة، لخلق الإنسان الأعلى أي الإنسان الذي يعلو على ذاته بما يمتلكه من إرادة قوية تجعله يتغلب على الضعف والمرض وينتصر على ذاته وعلى الحياة، بما يقدمه من انتصارات وإبداعات خلاقة تحدد مصيره فمفهوم الإنسان الأعلى عند نيتشه يرتبط بمفهوم المصير والانتصار والإبداع، ولذلك نجده يقول : "الأمل قد أعيدت ولادته معي ومن هنا أنا بالضرورة رجل المصير"[٤٢] .

بناءً عليه يرفض "نيتشه "أن يظل الإنسان عادياً لا يسعى إلى التميز والتفوق، مؤكداً ذلك بقوله "أنني آت إليكم بنبأ الانسان المتفوق ، فما الإنسان العادي إلا كائن يجب ان نفوقه ، فماذا أعددتم للتفوق" [٤٣]."فالإنسان الأعلى ليس خياليا ولكنه الإنسان العادي عندما يتحدى ذاته وظروفه وواقعه ، الذى يسعى الى تغييره من أجل الإرتقاء بذاته ، فهو إنسان هذه الارض. والعلو هنا مقترن بالإنسان العادي ويقول "نيتشه"" أنه من الارض كالمعنى من المبنى فلتتجه إرادتكم إلى جعل الأنسان المتفوق معنى لهذه الارض وروحا لها"[٤٤] . فعندما يرتقى الإنسان بذاته مستخدما إرادة القوة، فانه يضيف المعنى لهذه الحياة فيتمسك بها، لأنها تكون في تقدم ورقى مستمر بفعل إرادة الإنسان وفعله. هنا نجد نيتشه يربط بين إرادة القوة والوعى ويضع رؤية ميتافيزيقية للإنسان ، أي ما ينبغي ان يكون علية الانسان في كل مكان وكل عصر ، ولذلك لم يرفض " نيتشه" العقل ولكنه يتحدث عنه ليس بالمفهوم التقليدي ، بل العقل الحيوي المسخر لخدمه الحياة .ولذلك جمع بين العقل والعلم في قول" أان العقل والعلم ميزتا الانسان الساميتان"[٤٥] .

٣-<u>موقفه من الأنساق الفلسفية الثابتة:</u>

يرى" نيتشه" أن العقل لا يقف ضد الصيرورة والتغير، حتى لا يكون معوقاً لسريان الحياة بل يضفي على الإنسان من إبداعاته، التي تجعله يساير الحياه في

تقدمها وإرتقائها. فالعقل عند نيتشه مصدر الإبداع Creativity والقوة .ولذلك لم يعترف "نيتشه "بالأنساق الفلسفية الثابتة ، لأنه يرفض الثبات ويتمسك بالتغير والصيرورة أي بالحياة .فذهب الى رفض العقل التقليدي والفلسفات التي تضع العقل في قوالب ثابتة جامدة، لأنه يكره الثبات والجمود" فموقف نيتشه من النزعة العقلية في الفلسفة التقليدية كان أحد الدوافع الرئيسية وراء نفوره من النسق الفلسفى . ولعل هذا هو ما قصده ياسبرز في كتابه" العقل والوجود الإنساني "بقوله إن التشكيك في كل عقلانية منغلقة على ذاتها وتحاول أن تجعل الحقيقية كلها في متناول الانسان ، جعل نيتشه وكيركيجارد خصمين متطرفين للنسق وهو الشكل الذى تبدت فيه الفلسفة لعدة قرون ، والذى تألقت فيه المثالية الالمانية ، فالنسق بالنسبه اليها، تحول عن الحقيقة، ولذلك فإنه اكذوبة وخداع . وقد رأي " كيركيجارد "أن النسق يتوافق مع ما هو مغلق وثابت ، ولكن الوجود على العكس من ذلك تماما أن الفيلسوف النفسي مثل رجل يبنى قلعة ثم يعيش في كوخ إلى جوارها. ومثل هذا الكائن الخيالي لا يعيش كما يفكر ، لكن تفكير الإنسان يجب أن يكون بيته الذى يعيش فيه، والإيصبح ضالا ومنحرفاً ، وإرادة النسق بالنسبة " نيتشه" إفتقار الى الأمانه"[٤٦] . إن "نيتشه" في الحقيقة لا يريد ان يقدم بناءً فلسفياً شامخاً ، بل يريد ان يقدم أفكاراً تكون بمثابه لبناتٍ تستخدم في البناء وتصلح لكل عصر وتبقى الاف السنين دون أن تفقد قيمتها أبداً[٤٧] .

فقد قدم لنا "نيتشه" فلسفته على هيئة شذرات وحكم متناثر في كل مؤلفاته ، حيث نجد أفكاره متكرره في كل المؤلفات ولا يوجد أي ترابط منطقي في عرضة لها .فجاءت على شكل خواطر فلسفية بأسلوب أدبى متميز وأحيانا قصائد شعرية حيث غلب عليه عمله كأستاذ في فقه اللغة، وترك للقارئ حرية التأويل " فأنتج تنوع فكر "نيتشه "أسلوباً أدبياً مضغوطاً ثرياً، كثيراً يستخدم المجاز والبسمة والحكاية أو الأمثولة ، لقد تجنب عن وعى مناقشات العمق التي أعتبرها العلامة المسجلة على العقل الأكاديمي المتحذلق، الذى يعمل في طريق ضيق، بحثاعن الحقائق المطلقة ومذهب شامل من الأفكار"[٤٨] .

٤- **نيتشه والمرأة:**

لقد تناول "نيتشه" موضوعات متنوعة في شتى مجالات الحياة من أدب وشعر وموسيقى وفلسفة وسياسة .. وغيره" فهو شاعر وموسيقى وكاتب مقالات

وفيلسوف ألبس أفكاره بلغة قاسية وصريحة تمتلك قوة مبهرة في مجالها وأسلوبها"[٤٩] .

نجد هذا الأسلوب المزدوج الذي يجمع بين القسوة واللين واضحاً فى حديثه عن المرأة.فقد ذهب إلى تعنيفها بشكل صريح، حيث يقول" إذا ما ذهبت الى النساء فلا تنس السوط "[٥٠] . يرى نيتشه أنه لابد من القسوة في التعامل مع النساء، وفي نفس الوقت يقول عنها أنها هي الحياة. كما نجدهِ يفترض إن الحقيقة هى أمرأة ،والحقيقة ليست واحدة عند نيتشه بل وجوها مختلفة للحقيقة ، كذلك ليس هناك وجهه نظر واحدة عن المرأة ، فالنساء لهن نماذج مختلفة، ترتدى الأقنعة التي من خلالها يجذبن الرجال. مثالها مثل الحقيقة" الحكمة يشتهيها الإنسان بكل قوته، ولا يشبع منها ، فهو يحدق فيها ليتبين وجهها من وراء قناع يمد أصابعه بين فرجات شباكها ، متسائلا عن جمالها، وما يدريه ما هو هذا الجمال. ومع هذا فان أقدم الأسماك لا تنفك عن الأنجذاب الى طعم شباكها ، فهي متقلبة شديدة المراس. ولكم رأيتها تعض على شفتها ، وتسرح شعرها ولعلها شريرة ومخادعة ، بل لعل لها صفات المرأه بأجمعها ، فهي لا تبلغ أبعد مداها في جذب القلوب إلا عندما تهجو لذاتها"[٥١] .

وفى نفس الوقت نجده في كتابه" ما وراء الخير والشر "يرى أن المرأة لا تريد الحقيقة، لأنها بالفطرة تكرهها،ولا يوجد شيء أكثر من نفورها من الحقيقة. لأن "فن المرأة الأعظم هو الكذب وتعلقها الأسمى هو الظهور والجمال فحسب [٥٢] . وبناءً على ذلك يصف "نيتشه" المرأة بالخداع والمراوغة والكذب ، ولكننا نجده في نفس الوقت يشبهها بالحياة في جمالها وجاذبيتها،وعندما يقول" أنها الحياة ,فالحياة أمرأه أميل الي الاعتقاد بأن القمم العالية كل شيء خير، سواء كان عملاً أدبياً أو فعلاً أو إنساناً أو الطبيعة. ومازالت تتخفى وتحجب نفسها عن الغالبية العظمى أو حتى عن الصفوة .. أريد أن أقول إن العالم ممتلئ بالأشياء ,لكن ربما يكون هذا هو سحر الحياة المفعم بالقوة ، وأنها مغطاه بحجاب منسوج بالذهب، حجاب إمكانيات جميله تبرق بالوعد والمقاومة وبالإحتشام وبالتهكم والشفقة وبالإغراء،نعم الحياة أمرأه"[٥٣]. والحياة فيها أشياء جميلة أكثر مما تظهر، فليست هذه الأشياء كل الحقيقة"[٥٤].

من هنا نجد نيتشه يقرر أن المرأة تشبه الحياة لأنها لا تظهر كل الحقيقة بالرغم ما تبدو عليه الحياة من أشياء وإمكانيات جميله متنوعة ، إلا أنه هناك أشياء

مماثله لم تظهر بعد . وهذا هو سحر الحياة وفاعليتها ، لذلك المرأة لا تستطيع أن تظهر كل حقيقتها المختفية وراء حجابها المصنوع من الذهب، حيث يختفي وراءه عيوب كامنه هي الحقيقة الباطنة، فالمرأة لا تستطيع أن تظهر كل حقيقتها، فهي فيما تبدو عليه من جمال وسحر مثل الحقيقة ، ولكن هذا الجمال والسحر ليس كل الحقيقة ، كذلك الحياة حقيقتها أكثر مما تبدو عليه.

وعلي الجانب الاخر نجده يصرح" أن كل ما في المرأة لغز ,وليس لهذا اللغز إلا مفتاح واحد هو كلمة" حبل " فهو يصفها بالبقرة الغبيه في كتابه" العلم المرح" "أنها تحبه من الان فصاعدا , ومنذ ذلك الحين وهى تنظر أمامها بثقه نظره غبيه وحاسرتاه "[٥٥]. ويصفها أيضا بأنها" مخلوق مضطرب في الانتقام وفى الحب ، فالمرأة أكثر وحشيه من الرجل،الرجل الحق يريد شيئين ,الخطر والإنحراف , ولذلك يريد المرأة أشد الأشياء خطورة، المرأة الكاملة تقطعك إرباً عندما تحبك" [٥٦].

وبتحليل أقوال نيتشه في المرأة يتبين لنا أنه قد جمع النقيضين الحب والكراهية في حديثه عن المرأة , وقد يكون ذلك نتاج تجاربه الشخصية مع المرأة ، فعندما عنفها كان عنفه نتاج اللاعنف من خلال تجاربه العاطفية الحالمة .ولكن عندما فشلت تلك التجارب العاطفية ، تحولت المشاعر الرقيقة الرومانسية إلى غضب وقسوة وعنف تجاه المرأة فنجده يتأرجح في آراءه عنها ، كأنه في صراع داخلي بين العاطفة والمشاعر الفياضة تجاهها وبين الحقد والكراهية ، فاستطاع أن يجمع بشكل جدلي بين اللاعنف والعنف، ولذلك لم تكن له رؤية واحدة واضحة ومحددة تجاه المرأة ، بل رؤي مختلفة تحتوي على كل المتناقضات .فأحيانا يضعها في مكانة عالية مقدسه، ويصفها بأنها الحقيقة والحكمة والحياة ، وأحيانا أخرى يضعها في مواضيع متدنية للغاية، عندما قال عنها أنها بقرة ، يجب علينا عندما نذهب إليها أن يكون معنا السوط، لأنها خطيرة وأكثر وحشية . كما أنها مخلوق ناقص ، وفيها من العيوب الكامنة، مما يحتم علينا ألا نعهد اليها بأي عمل جدي . فالمرأة تهتم بالأشخاص لا بالأشياء ، وهي أذا إهتمت بالأشياء ، فإنما تتعامل معها كما لو كانت أشخاص ، وتنظر اليها نظرة شخصية متحيزة ، من الخطر أن نعهدإليها بالأمور المهمة، كالسياسة مثلا أو الفلسفة أو الفن ، لأنها عندئذ لا يمكنها أن تتصرف تصرفاً نزيهاً، محايداً وهكذا يقف " نيتشه" في وجه حركة تحرير المرأة بكل قوته[٥٧]. حيث يقر بالتميز بين الرجل والمرأة في الحقوق ، فكان بذلك ضد النزعة الأنثوية ، التي تقر بمشروعية المساواة بين الرجل والمرأة ، في

الحقوق وفقاً لمبادئ الليبرالية، التي من المفروض أنه ينتمى إليها .حيث أن فلسفته لم تأتي في قالب نسقي،لأنه كان ضد كل أنساق الفكرية إيماناً منه بالحرية والتغيير والتطور المستمر، ومع ذلك نجد نظرته للمرأة كانت مؤسسه على الرؤية التقليدية , في الفلسفات اليونانية . حيث أرجعها الى أصولها الأولى القائمة على التمييز والدونية.

ومن هنا نستطيع القول أن فلسفته قد جاءت من نتاج جدليةالعلاقة بين العنف واللاعنف، بحيث لم نستطيع التميز من الذي أفرز الأخر . وذلك الصراع الداخلي عندما أطلق له العنان كان الفكر النتشوي الذى يتميز بالغموض والجمع بين الأضداد والبساطة والعمق، خوفاً من أن تأتى في قالب نسقي.

المحور الثالث" نقد نيتشه للأخلاق المسيحية:

١- الأخلاق المسيحية:

إن نقد "نيتشه" للفلسفات التقليدية الثابتة، أدى به بالضرورة إلى نقد الأخلاق المسيحية الموروثة .لأنها – كما يرى نيتشه – تسعى إلى تحرير الإنسان من هذا العالم الواقعي، بما وضعته من مثل عليا بعيدة كل البعد عن الواقع الخارجي . فالإنسان بناءً على رأى "نيتشه" ليس بحاجة إلى مثل هذه المثل العليا، غير المستمدة عن الواقع، لأنها ترتبط بعالم الأشياء في ذاتها العالم المتجاوز الذى يربط القيم الأخلاقية باللاهوت، الذى يملى على الإنسان أخلاق الزهد والضعف في حياه الدنيا." فالمسيحية الأصلية هي إلغاء الدولة :فهي تحرم أداء القسم والخدمة المدنية، والمحاكم والدفاع عن النفس وعن الجماعة، وتمحو الفرق بين المواطنين والأجانب . وكذلك إقامه الطبقات مثل المسيح : لا يقاوم الذين يقترفون الشر، ولا يدافع عن نفسه، بل يفعل أكثر من ذلك" يدير الخد الأيسر "على السؤال" :هل أنت هو المسيح؟ "يجيب : سترون إبن الإنسان جالساً إلى يمين القوة آتيا على سحب السماء" كذا :" يحرم على تلاميذه أن يدافعون عنه ؛ يبين أنه قد يحصل على مساعدة، ولكنه لا يريد ذلك "[٥٨].

فقد كان "نيتشه" عنيفاً في نقده للأخلاق المسيحية ، لأنها تلغى النظام الطبقي بين الناس، كما تلغى التفوق والتميز والتمسك بالقوة ، للتطوير الذات والدفاع عن النفس . وبالتالي تجعل الانسان يتمسك بالضعف، على أنه فضيلة أخلاقية. فلا يقاوم الذين يقترفون الشر ، بل يصل به الضعف إلى التسامح إلى أقصى حد ، حتى لو وقع علية الأذى مرة آخري ، فمن تعاليم المسيح لتلاميذه "أن يدير الخد الأيسر "ولذلك يقرر نيتشه " أن المسيحية هي كذلك إلغاء للمجتمع :أنها تفضل كل ما يزدريه المجتمع، تنمو في صفوف الحقيرين والمذمومين ، والبرص من كل صنف ، وجباه المكوس ، والبغايا، والدهماء الجهولة "الـ" مذنبون "وتحتقر الأغنياء، والعلماء، والنبلاء، والفضلاء، والناس" المهذبى السلوك"[٥٩] .

فالأخلاق المسيحية تبث في الإنسان روح الضعف والاستهانة وتحقير الذات . لذلك نجدها لا تعطى للأغنياء والعلماء والنبلاء وغيرهم من المتميزين في المجتمع أي إهتمام، لأنها لا تدعو إلى التميز والتفوق، بل تدعو إلى الذهد والتواضع . وتجعل الإنسان يتنكر لرغباته وإنفعالاته التي يسعى " نيتشه "إلى تطويرها من خلال إرادة القوة ، ليصل بالإنسان إلى العلو والتميز ، والتي هي بمثابه الهدف.

٢-إرادة القوة:

فإرادة القوة تسمو بالإنسان إلى العلو على الذات تجعله كائناً حراً من أي قيود أو أخلاقيات دينية ثابتة تجمده ولا تجعله يعلو بذاته .ولذلك نجد نيتشه ينادى" أين هو الهب الذى يمتد اليكم ليطهركم؟ أين هو الجنون الذى يجب أن يستولى عليكم؟ ها نذا أنبئكم عن الإنسان المتفوق ، إن هو إلا ذلك اللهب وذلك الجنون "[٦٠] .

وعلى هذا النحو نجد " نيتشه" يذهب إلى ضرورة تحرير الإنسان من الأخلاق المسيحية ، حتى يكون حراً يضيف لنفسه ما يساعده على التطور والارتقاء في هذا العالم وإنكان ذلك بمثابة الجنون ،لأنه ليس من المعقول أن ينتقد الإنسان العقيدة أو التعاليم الدينية .ولكنه يرى أن هذا الانتقاد بمثابه النار التي تكشف الصلابة والقوة . فالإنسان لا يجب أن يزهد في الحياة ولا يسعى إلى ارتقائه ، لأنه إنسان وليس ملاكاً ، كما أنه ليس بحيوان ، لكى ينساق وراء غرائزه ورغباته فهو

إنسان يمتلك أخلاقاً وعلماً. والإنسان المتفوق على ذاته يتمسك بالأخلاق والمعرفة، حيث ينزع إلى الأفضل والأسمي والتحرر والاستقلال، بإستخدام إرادته الواعية. تلك الإرادة التي يرى "نيتشه" أنها تلغى بفضل المبادئ الأخلاقية الدينية الثابتة.

ويؤكد على هذا المعنى بقوله" شيء طبيعي في الأخلاق ، كل أخلاق سليمة تسودها غريزة من غرائز الحياة – أن يستجيب كل قانون من القوانين" "يجب عليك " "ولا يجب عليك "دائماً لواحدة من وصايا الحياة ، هكذا يتم على الدوام إستبعاد عائق ما أو مقاومتما لسبل الحياة . إن الأخلاق المضادة للطبيعة ، أي تقريباً الأخلاق الملقنة ؛ المجدة ، المنصوح بها إلى هذا اليوم ، تسير على العكس تماماً ؛ ضد غرائز الحياة .. إنها إدانة سرية تارة ، وتارة عنيفة ومجلجة لهذه الغرائز. بقولها" إن الإله يستبطن القلوب تقول " لا " لأدنى الرغائب كما لأسمى أماني الحياة ، وتضعالإله عدوا للحياة ... إن القديس الذى يرضى الإله هو المخصي المثالي ... ينتهى أمر الحياة حيثما تبدأ: مملكة الرب"[٦١].

فالعاطفة المسيحية قد تكون قاتلة ، فبسبب الغباء الموروث في العاطفة ، شَن الإنسان الحرب على العاطفة نفسها. يقال على سبيل المثال إن أساءت اليك عينك فأقلعها، ولحسن الحظ لا يعمل أي مسيحي على طاعة هذه النصيحة. فكما نعرف جميعاً كيف شَنت الكنيسة الحرب ضد العقل الإنساني لصالح العاطفة والروح .

وفي ظل هذه الظروف كيف تستطيع العاطفة أن تواجه" العقل "كما فعلت الكنيسة مستخدمه كل وسائل الاستئصال ، من كل الأنواع ومن هنا نتساءل كيف يمكن للرغبة أن تصبح روحانية أن تتجمل ، أن تعظم؟ أو أن تنقرض. مهاجمه العاطفة من جذورها ما هو في حقيقة الأمر إلا مهاجمه الحياه نفسها من منابعها ، فمنهج الكنيسة عدائي للحياة"[٦٢].

وبناءً علية يرى "نيتشه" أن تمسك الأنسان بالأخلاق المسيحية ، هو في حقيقة الأمر تمسك بالعدمية. لأن هذه الأخلاق تسعى إلى العالم الأخر ، عالم ما بعد الحياة ، بالتالي تقضى على حق الإنسان في الحياة بالعزوف عنها بالزهد فيها والاستسلام والضعف ، كبت الرغبات .. وغيرها من التعاليم الأخلاقية ، التي تبعد الأنسان كل البعد عن الحياة . فهي أخلاق مضادة للطبيعة لا تفي للإنسان بأي شيء من غرائزه الطبيعية وطموحاته الدنيوية فيصبح الإله بمثابه عدو الحياة "

لقد جعلت المسيحية من الرغبة الكبيرة في الإنتحار التي كانت سائدة وقت ظهورها عماد قوتها . فبينما كانت تحرم بشكل صارم كل أشكال الإنتحار الأخرى. لم تترك سوى شكلين ألبستهما أسمى كرامة وغلفتهما بأغلى الآمال ، الاستشهاد ، وقتل الزاهد نفسه ببطء." [٦٣] .

وعندما يتمسك الإنسان بالأخلاق المسيحية، فأنه يتمسك بالعدمية ، حيث تنتهى الحياة بالتفكير في ارضاء الرب . ولذلك أعلن نيتشه صراحة" موت الإله "أي موت الأخلاق المسيحية حتى يقر بحق الإنسان في الارتقاء بنفسه وتحقيق أماله وطموحاته في الحياة الدنيا قبل الآخرة بتفعيل إرادة القوة .

٣- **نيتشه وموت الإله** :

يرى "نيتشه" أن المسيحية تدفع الإنسان إلى الزهد في حياة الدنيا من أجل التعلق بالحياة الأخرى .وذلك يجعله يتخلى عن دوره الحقيقي في تفعيل إرادة القوة ، تلك الإرادة التي تعطي له حق الحياة بما يُحققه من آماله وطموحاته في الحياة الواقعية ، ولذلك يؤكد نيتشه على تفعيل هذه الإرادة بتحقيق الطموحات وعدم تأجيلها إلى العالم الآخر، حيث يُعلق الإنسان تحقيق آماله على الإرادة الإلهية ، بالتالي يُلغي الحياة الواقعية ودوره الفعلي فيها .

ويؤكد "نيتشه" على هذا المفهوم بقوله" أن المفهوم المسيحي لله . الله كإله للمرض، الله كروح – هو واحد من المفاهيم الأكثر فساداً لله ، مما توصل إليه على وجه الأرض ، ولعله يُمثل الدرجة السُفلى في تراتيب التطور الإنحداري للنموذج الإلهي – الله متدنّ نقيضاً للحياة ، عوضاً أن يكون تمجيداً لها ونعم أبدية لإثباتها ! الله كبؤرة لإعلان العداء ضد الحياة ، والطبيعة، وإدارة الحياة ! الله كمبدأ لكل سلب لـ" الدنيا "ولكل أكاذيب" الآخرة "الله الذي يؤلَّه فيه العدم ، وتحاط إرادة العدم فيه بالقداسة " [٦٤] .

يرى "نيتشه" أنه عندما يكون مفهوم الإله مرتبط بالعدمية والفناء بدلاً من الحياة، فيدعو إلى الزهد في الحياة والتضحية بالنفس، وعندما يرتبط مفهوم الإله بالرحمة على الضعفاء والمرضى والضعف ، وتأييدهم دون الأقوياء أصحاب الإرادة

الفاعلة . فإن هذا المفهوم للإله يُمثل أدنى نموذج لمفهوم الإله، بل أنه واحد من المفاهيم الأكثر فساداً .لأنه لا يُعلي من قيمة الحياة ، التي تقوم على الإنسان المبدع، ذلك الإنسان الذي يمتلك الإرادة الخلاقة من أجل التميز.

ولأجل ذلك يُعلن" نيتشه "رفضه الصريح لتقديس إرادة العدم بدلاً من إرادة الحياة ، ويقول" إن الله قد مات "لأن إرادة الإله المسيح وفق هذا المفهوم – الذي أوضحه نيتشه – إرادة موت وفناء، وعندما تكون الإرادة الإلهية إرادة موت وعدم فإنها تفقد قداستها" . لقد مات الله عند نيتشه بسبب المسيحية التي قضت على أهم مكاسب الإنسان الأولى : تراجيديا الحياة التي عرفها الطبيعيون الأوائل السابقون على سقراط ، والتي وضعت المسيحية بدلها الأوهام .الله ، نظام العالم الخلقي، الخلود، الخطيئة، الفضل الإلهي، الفداء ... الخ حتى تأتي لحظة تحول فيها النية الصادقة، التي تتطلبها المسيحية ، إلى اشمئزاز من كذب وبطلان كل تفسير مسيحي للعالم، عندئذ ينخر العدم في عالم المسيحية الوهمي ، فالعدمية هي النتيجة المنطقية لكل القيم والمُثل"(٦٥) .

ومن هنا يتضح لنا أن عنف" نيتشه "ضد المقدس المسيحي ، كان بسبب تفضيله للقوة على الضعف، فهو فيلسوف القوة الذي رأى أهمية مبدأ القوة في الحياة ، تلك الحياة التي يتفاعل معها الإنسان ويعلو ويرتقي بقيمه الأخلاقية التي تحقق تميزه عن غيره لكي يصل للإنسان الأعلى، إنسان القوة وليس الضعف ، ولأجل ذلك إنتهك" نيتشه "المقدس المسيحي، لأنه لا يتماشى مع رؤيته الفلسفية الواضحة . والتي تتوج إرادة القوة ، من أجل خلق قيم جديدة ترتبط بالحياة والقوة، وتتعارض مع القيم الأخلاقية المسيحية، التي ترتبط بالعدم والضعف . ولتأكيد ذلك نجد" نيتشه "يُلقي الضوء على الشعب اليهودي الذي يرى فيه طاقة حياتية من أصلب ما تكون ، بالرغم من أنه قد يكون مجبراً على العيش في ظروف مستحيلة، إلا أنه يتمسك بغريزة البقاء، التي جعلته قادراً على فرض نفسه على العالم . ولذلك يرى" نيتشه "أنهم على النقيض من المسيحيين"(٦٦) . وانطلاقاً من هذه النظرة نجده يصرح بأن" المسيحية بحاجة إلى أفكار وقيم متوحشة لكي تغدو سيداً

على البرابرة :فكانت أضحية البواكير، وشرب الدم في العشاء السري، واحتقار العقل والثقافة، والتعذيب بشتى أنواعه الحسية منها والمعنوية والأبهة الكبرى في الطقوس"[٦٧].

ونستنتج من ذلك أن" نيتشه " لا يرفض المسيحية كدين ولكنه يرفض منها مظاهر الضعف والخضوع ورفض الحياة وغيرها من أخلاقيات تنم عن الضعف . حيث يرى" نيتشه " أن المسيحية لو تخلت عن هذه الأخلاقيات وإستبدلتها بأخلاقيات أخرى تنم على القوة، لأصبحت للمسيحية السيادة.

هنا نتساءل هل موقف" نيتشه " من الإله المسيحي كان مؤسساً تأسيساً عقلياً أم نفسياً؟

لقد جمع" نيتشه " بين ما هو نفسي وما هو عقلي أو بين العقل واللاعقل في موقفه من المسيحية ، حيث نجد رفضه لها كان موجهاً لمظاهر الضعف والتواضع والتضحية وعدم التمييز ... وغيرهم من أخلاقيات موجودة في الدين المسيحي ، وتدل على الضعف. وقد يكون هذا الربط راجعاً إلى التنشئة الاجتماعية والثقافية عنده ، حيث نشأ مُدللاً متميزاً عن أقرانه. كما تأثر بالثقافة اليونانية وما بها من أخلاق أرستقراطية تتميز بالقوة والسيادة .وبالإضافة إلى حبه للكبرياء والعظمة الذي يتضح من قوله" ليت هذا الرجل العظيم يتعب من عظمته ليظهر الجمال فيه فإنه في ما له من عظمة يستحق أن أتذوقه فأجد له طعماً"[٦٨].

فقد كان لهذه العوامل الذاتية تأثير واضح على رؤيته لمفهوم الإله المسيحي ، الذي يتحلى بمظاهر الضعف دون القوة. ومن هنا كان الرفض النفسي لفكرة الإله المسيحي ، لأنه يُفضل مظاهر القوة على مظاهر الضعف. وعلى الجانب الآخر نجد نقده للإله المسيحي كان مؤسساً تأسيساً عقلياً . ولتأكيد ذلك نذكر قول" نيتشه " "عندما يُجرد مفهوم الله من شرط الحياة المتناهية ومن كل ما هو نخوة وشجاعة وسيادة وقوة، وعندما يسقط شيئاً فشيئاً إلى وظيفة عكاز للمتعبين، وطافية نجاة لكل الغرقى، وعندما يتحول إلى إله للضعفاء، وإله خاطئين، وإله مرضى بامتياز؛ وعندما لا يتبقى له من الصفات الإلهية عامة غير ما يحمله اسماً" المنقذ "و

"المخلص "عمّ يُنبئ مثل هذا التحول؟ مثل هذا الإختزال الذي يجري على الألوهية؟ " (٦٩).

فالرفض هنا ليس للإله كحقيقة ، بل رفض التأويل المسيحي لمفهوم الإله. حيث كان هذا التأويل للإله غير مناسب على الإطلاق مع فلسفته، التي تقوم على فكرة إرادة القوة . بإعتبارها الحقيقة الثابتة عنده. وعندما يتحدث عن الإله كحقيقة، كان لأبد أن يتحدث عنه بما يتفق منطقيا مع فلسفته، لذلك كان لأبد أن يرفض التأويل المسيحي للإله . ولا يعني ذلك أنه يرفض الإله كحقيقة، حيث يقرر " أن المرء بحاجة إلى إله قاس حاجته إلى الإله الخيّر. فالإنسان لا يمكن أن يكون مديناً في وجوده إلى التسامح وإلى محبة الإنسان ... أي إله هذا الذي لا يعرف سخطا، ولا انتقاما، ولا غيره، ولا سخرية ، ولا فكراً ولا عنفاً؟ إله ربما لا يعرف حتى سكرة حمى الانتصار والتدمير؟ لا أحد سيفهم مثل هذا الإله : فما الداعي لوجوده إذن؟ من المؤكد أنه عندما يكون شعب ما على طريق المضي إلى الهلاك، وعندما يشعر بثقته في المستقبل وبأمله في الحرية تضمحل دون رجعة ، وعندما يستبطن وعيه الشعور بالخضوع كضرورة أولى، وفضائل الخضوع كشروط للبقاء ، عندها يكون على إله أيضا أن يتغير، وسيصبح عندها جبانا، متواضعا، يوصى بـ" سلام الروح "وبالكف عن الكراهية، وبالرحمة، وبـ" المحبة " تجاه الصديق وحتى العدو؛ إلها لا يكف عن الوعظ الأخلاقي ، يزحف داخل مغارة كل فضيلة شخصية ، يغدو إلهاً للجميع، يغدو شخصاً عادياً، يغدو مواطناً عالمياً ... فيما مضى كان ذلك الإله يُمثل شعباً بعينه، والآن لا يعدو كونه مجرد إله خير ... وبالفعل ليس هناك من خيار آخر أمام الآلهة، إما أن تمثل إرادة القوة، وعندها ستظل آلهة لشعوب بعينها – أو أن تكون صورة للعجز عن القوة – وعندها سيكون عليها أن تصبح حتماً خيرة... " (٧٠).

وبالتحليل هذا النص نتبين أن" نيتشه "عندما أعلن موت الإله لم يكن يقصد على الإطلاق أن الإنسان ليس في حاجة إلى الإقرار بوجود الإله، لأنه أعلن صراحة أن المرء بحاجة إلى إله ، ثم نجده يبين لنا طبيعة هذا الإله ، إله يجمع بين القوة واللين، فالإنسان في حاجة إلى إله قاس حاجته إلى إله خيِّر، فالتسامح والعنف من صفاته ولكن إله طبيعته محبة وتسامح، وخضوع، وتواضع، رحمة لا يعرف الكراهية ولا الانتقام، ولا المكر ولا السخرية ولا الانتصار ... وغيرها في هذه الحالة فقط يعلنها" نيتشه "صراحة ما الداعي لوجود مثل هذا الإله؟

ثم نجده بعد ذلك يُجزم أن الإله إما أن يكون إرادة قوة وذلك بالطبع الإله الذيبقره نيتشه"، أو أن يكون الإله معبراً عن العجز والضعف وهذا هو الإله الذي رفضه" نيتشه "بإعلان موته

بذلك يكون" نيتشه " لم يرفض الإله على الإطلاق، بل كان الرفض موجهاً للتأويل المسيحي لطبيعية الإله، التي تتسم بالعجز والضعف فقط .فعندما أعلن "موت الإله " نجده يُعلن في نفس الوقت عن حاجته إليه ويلوم نفسه على هذا الاختراق لعلمه بمدى خطورة هذا الإعلان ، وما يترتب عليه من نتائج جعلت "نيتشه " يشعر بالخوف، والارتباك والندم لأنه قدم على هذه الفعلة وقتل الإله .فقد قدم لنا" نيتشه "صورة تصويرية رائعة في خلال نص في كتابه" العلم المرح "تحت عنوان" الأخرق ."يقول فيه" مات الإله ! ويظل الإله ميتاً ! ونحن هم الذين قتلناه ! كيف سنعزي أنفسنا نحن أكبر القتلة؟ إن أقدس وأقوى ما ملك العالمُ إلى الآن، قد نزف دمه بطعنات مُدانا – من سيمسح هذا الدم من أيدينا؟ أي ماء سيطهرنا؟ أية مراسيم تكفيرية، أية ألعاب مقدسة يجب علينا أن نبتكر؟ وعِظَمُ هذه الفعلة، اليس شيئا يفوق طاقتنا؟ ألا يجب علينا أن نصير نحن أنفسنا آلهة كي نبدو جديرين بهاتة الفعلة؟ لم تحدث أبداً فعله أعظم من هاته . وكل من سيولد بعدنا سينتهي بمقتضى هذه الفعلة نفسها، لتاريخ أسمى مما كان عليه التاريخ حتى الآن ! "[٧١].

من هنا تبين أن" نيتشه "مارس العنف على اللاعنف وأعلن قتل الإله، ولكنه دخل في صراع جدلي بين العنف واللاعنف، بين قناعته بأهمية تغير ما هو سائد بإزاحة صورة الضعف للإله، كما أظهرتها الأخلاق المسيحية، وبين خوفه من عدم وجود الإله ، وما يترتب عليه من فوضى وعدمية ، حيث لا يوجد إلا الظلام فقط .

ويسأل" نيتشه " كيف يغتفر هذا الإثم ، بل نجده أدرك أنه ليس من حقنا فعل ذلك وأن نحكم على الإله بالموت لأننا لسنا بآلهة، أي أننا لا نمتلك العقل الإلهي لكي نحكم على إله بالموت، فالعقل الإنساني محدود وقاصر. ثم نجده يشيد بهذه الفعلة ، لأنها هي التي تغير التفكير الإنساني في إقراره بالإله وليس بإنكاره، ويتضح ذلك من قول" نيتشه" "إن الإله ذاته لن يستطيع البقاء بدون الناس العقلاء، – قال

لوثر – وبحق، غير أن" قدرة الإله على البقاء ستكون أقل بدون الخُرق "[٧٢]. وقوله أيضاً" أحب من يعلن حبه لربه بتوجيه اللوم إليه، إذ يحب أن يهلك بغضب ربه" [٧٣].

ونخلص من ذلك أن" نيتشه " يؤكد على ضرورة النقد، حتى يتمكن الإنسان من تكوين رؤية واضحة للأفكار السائدة. فجاءت رؤية" نيتشه " لموت الإله مؤسسة على اللاعقل والعقل معاً حيث نقد الإله المسيحي ، لكونه يدعو إلى أخلاق المحبة والتواضع والتضحية والزهد والمساواة ... وغيرها من الأفعال التي يرفضها" نيتشه"، لكونه يُفضل مظاهر القوة على مظاهر الضعف في كل الأمور. ولذلك رأى أن الإله لأبد أن يجمع بين القوة والخير والتسامح والعنف معاً . كما نجده يؤكد على ضرورة إستخدام النقد العقلي ، ليس من أجل الإنكار ، ولكن من أجل الإقرار حيث يُعلن أن بقاء الإله يرتبط بإعمال العقل، وهذا تصريح واضح بإقراره بحقيقه الإلوهية التي ربطها بأساس فلسفته" إدارة القوة " ليعطى لنا تأويلاً جديداً لمفهوم الإله، يتماشى مع فلسفته المؤسسة على إزدواجية العنف واللاعنف معا. فقدم من خلال هذه الرؤية تأويله للإله ، الذى يجمع بين القوة والضعف والتسامح والعنف والقسوة والخير ... وغيرها . ولكي يصل إلى هذا التأويل كان لأبد عليه أن يُحطم ويُفكك الرؤية السابقة للإله . ليُعطي للإنسان حرية التفكير المقترنة بالقوة ، لنقد الأفكار السابقة في مجال الدين والأخلاق . فالحرية هي أساس الإبداع والتطور.

٤- طبيعة الأخلاق عند نيتشه:

يرى نيتشه أنه" لكى نتأمل أخلاقيتنا الأوروبية عن بعد ، لكى نقابلها مع أخلاقيات أخرى سابقة أو آتية ، يجب أن نعمل بطريقة المسافر، الذى يحاول أن يتأكد بنفسه من علو أبراج حاضرة ما : لأجل هذا يغادر الأبراج الحاضرة ، ولكى لا تكون الـ" أفكار عن الأحكام الأخلاقية المسبقة " مجدداً أحكاما مسبقة على أحكام مسبقة ،فإنها تفترض وضعاً خارج الاخلاق ، تفترض ما وراء خير وشر . يجب أن نصعد أو نتسلق أو نطير اليه ، تفترض في كل الحالات والحالةهذه ، ما وراء مفهومنا للخير والشر ، تفترض الحرية بخصوص كل" أوربا " التي تعتبر في نهاية المطاف ، كجملة أحكام القيمة القطعية التي تسربت إلى دمنا " [٧٤].

يرى نيتشه ضرورة استبعاد كل القيم الأخلاقية الدينية ، حتى نستطيع أن نعرف حقيقة الأخلاق، ونصدر أحكام موضوعية عليها، فلابد أن نكون خارجها.

نفعل ما يفعله السائح الذى يريد أن يعرف مدى إرتفاع أبراج مدينة ، فهو عندئذ يغادر المدينة. حتى لا نصدر أحكاما متحيزة على القيم الاخلاقية، كان لأبد أن نتخذ موقفا خارجا عن الأخلاق ، بعيداً عن الأحكام الأخلاقية المسبقة . هذا خير وهذا شر، فهو يستبعد الأخلاق النظرية من أجل تقديم أخلاق أخرى بديلة يرتبط بالعالم الأرضي ، أو أخلاق عملية ترتبط بالنتيجة والفعل وليس بالتأمل العقلي أو الميتافيزيقي . أخلاق تمثل الإنحياز الحقيقي للإنسان المتفوق ، الذى يسعى بشكل متواصل إلى تطوير سلوكه، بإستخدام إراداته المتجددة بالإستمرار. حيث يكون في سعى دائم إلى مزيد من الامتلاء بالحياة الواقعية.ولذلك سعى "نيتشه" إلى تقديم قيم واقعية مصدرها إرادة القوة ، في مقابل قيم أخرى غير واقعية مصدرها الإرادة المتجاورة أو الإلهية، والتي رأى أنها قيم سلبية ، لأنها منافية للحياة ، بتعطيل قدرة الإنسان على الفعل والسيطرة على الذات، من أجل الارتقاء بها. ولذلك يرى نيتشه " أننا لم نجد معنى شيء ما إذا لم نعرف ما هي القوة التي تمتلك الشيء أو أنها تعبر عن نفسها فيه ، مثل قوة إمتلاك كمية من الواقع والسيطرة علية وإستقلاله. حتى الإدراك الحسى في وجوهه المتنوعة، هو تعبير عن قوة تمتلك الطبيعة"[٧٥].

ونستنتج من ذلك أن الأخلاق عند "نيتشه" تتمثل في رغبة الإنسان في الإمتلاك للفضائل الأخلاقية حتى الإدراك الحسى للأشياء، ما هو في الحقيقة الا تعبير عن إمتلاك الطبيعة ، فهو يربط بين الحقيقة والأخلاق أو بين الأخلاق والمعرفة ، ليضع رؤية جديدة للقيم الاخلاقية ترتبط بالواقع الخارجي المتغير ،كبديل للقيم الاخلاقية المطلقة. والتي أساسها المعايير الدينية الثابتة . مستخدما إرادة القوة كمعيار يجب أن نقيم على أساسة السلوك الأخلاقي . ومن هنا نجد نيتشه يذهب الى تقسيم الأخلاق الى نمطين وفقا لمبدا القوة والضعف وأطلق عليهما أخلاق (السادة) واخلاق (العبيد) . وإستخدام مصطلح (السادة) للرمز إلى الطبقة الأرستقراطية اليونانية والرومانية في العصر اليوناني ، بينما مصطلح (العبيد)كان رمز الطبقة الكهنوتية اليهودية والمسيحية "في العصور الوسطى.

فالنمط الأول أخلاق (السادة) تتصف بإنها أخلاق الأقوياء، التي تعبر عن روح السلطة والقوة ، والتى يتميز بها العصراليوناني . وإدراك الإنسان لذاته فهي أخلاق النبلاء الارستقراطيين، الحكام الذين يتميزون بالرجولة وحب القتال والحكمة والانتصار على الذات فهم اصحاب ارادة القوة .

لقد أسس نيتشه تأويله للأخلاق على العودة للأصل اليوناني ، الذى وجد فيه القوة والتغير والرقى حيث تسود أخلاق (السادة) الأقوياء ، الذين تكون لهم الغلبة دائما. فالقوانين الأخلاقية تربط (بالسادة) الحاكمة التي يتمسك بها "نيتشه" دون المحكومين .لذلك نجده يذهب الى القول" ان الجنس النبيل من البشر يحسب نفسه معينا للقيمة، ولا حاجة به الى من يستحسنه وهو يقرر" : ما يضر بي مضر في ذاته ، فهو هو من يضفى أولاوأخيراً مجداً على الاشياء ، أنه خالق للقيم ، وهو يكرم كل ما يدركه في ذاته ، أن أخلاقا كهذه، تمجيد للذات في الصدارة يأتي الشعور بالامتلاء Fullness بسلطان يريد ترفقاً "(٧٦).

وبناءً عليه يصبح الإنسان هو الذى يضفى على الأشياء قيمها ، لأن القيم ترتبط بإرادة القوة ، التي تجعل الانسان في سعى دائم للعلو والسمو الأخلاقي بشكل غير نهائي . فأخلاق (السادة) أخلاق نسبية ترجع إلى الإنسان الذي يمتلك إرادة القوة والتي هي معيار السلوك الأخلاقي . لأن هذه الإرادة ترتبط بهدف معين ، وهذا الهدف مرتبط بالنتيجة أو الفعل وهو الرقى بالإنسان. فهي أخلاق عملية تعبر عن روح القوة التي يدركها الأنسان في ذاته. لذلك ترتبط بالعقل فهي جزء من العملية الإبداعية للإنسان وحركيته. يؤكد ذلك بقوله أننا نريد ان نعرف لكى نكتب مزيدا من القدرة على إكتساب القيم الأخلاقية في الحياة، لكى نقوى من سيطرتنا على الأشياء، تلك كلها أمور تدخل في باب الفعل العملي لا الفكر النظري . فأصل السعي الى المعرفة أخلاقي ، وتفكيرنا ليس إلا وسيله نتمكن بها من زيادة قدرتنا على السلوك في العالم والسعي الىبلوغ الحقيقه .
إذن يتمسك "نيتشه" بالقيم الأخلاقية الديناميكية وليست الأستاتيكية ، لأنه يرى الحقيقة في تغير دائم متأثرا بالفيلسوف اليوناني هيرقليطس وبذلك نجد نيتشه قد رجع إلى الأصول الأولى في الفكر اليوناني ، لكى يفسر ما أطلق عليه أخلاق (السادة)وهى الأخلاق الحقيقية التي يتمسك بها نيتشه.

أما النمط الثاني أخلاق (العبيد) وهى الأخلاق السائدة في المجتمع. فحاول نيتشه إنتقدها بكل قوته، لأنها تتمثل المتدينين من أصحاب العقيدة اليهودية أو المسيحية، الذين يعبرون عن الخضوع سواء السياسي أو الديني أو الفكري لما هو سائد. وهذا الخضوع يرى "نيتشه" إنه يعبر عن الضعف والرأفة والزهد والإحساس بالذنب .حيث أن تمسك الإنسان بالأخلاق الدينية تؤدي به إلى تعطيل إرادته، بحيث يصبح مسلوب الإرادة، ويحل الضعف والإستكانة وتأنيب الضمير، محل القوة والطموح، بالتالي لا يصبح للإنسان هدف أو غاية في الحياة يسعى جاهدا لبلوغها. لأنه يزهد الحياة برمتها، ويعلق أمله، بالموت وما بعده . أي يعلق فشله وتعطيل إرادته على ما

يُسمى بالطاعة ، التي جعلته يتحول من إنسان قوي يستطيع الدفاع عن حقه في الحياة، إلى إنسان مسلوب الإرادة ضعيف.

وبناء عليه يقرر "نيتشه" أن الضعف والسلبية ، مصدرهما التعاليم الدينية المسيحية، حيث يرى "نيتشه" أن المسيح الأول في أعماق نفسه ، كان ثائراً على كل ضروب الإمتياز ، فقد عاش وكافح في سبيل المساواة بين الناس في الحقوق . ولو عاش هذا المسيحي الأول في يومنا هذا لقضى عليه بالفقر والإبعاد .. أليس هو القائل" سيد القوم خادمهم " قلب للحكمة السياسية والعقل السليم ، والواقع ان من يقرأ الإنجيل، كأنه يقرا كتابا بشرياً وليس سماوياً، فيه الآراء التي لا يمكن أن تتأصل وترسي جذورها ، إلا في الطبقة السفلى ، وفى عصر إنحط فيه الحكام وعجزوا عن الحكم . وعندما يتربع العبد على عرش ما، ينشأ التناقض ويصبح أحقر الناس أفضلهم [٧٧].

لم يكتف نيتشه بالتقسيم الثنائي للأخلاق (سادة) و(عبيد)" بل نجده حاول تفسير طبيعة العلاقة بينهما.

هنا نتساءل هل تأثر نيتشه بفكر" دارون " وفسر العلاقة من منطلق تمسكه بمبدأ البقاء للإصلاح؟ هل الأخلاق عند نيتشه أخلاق بيولوجية أم ميتافيزيقية؟

في الواقع أن" نيتشه "لم ينكر تأثير" دارون "عليه في فكرة التطور الطبيعي للحياة، التي تسير بفضل إرادة القوة. بإعتبارها الأساس لوجود الإنسان الأعلى . إلا إنه قدإنتقد نظرية داون" البقاء للأصلح "حيث رأي أن الحياة ليست تنازع للبقاء ، إنما هي تنازع للقوة والسيطرة ، وإن إرادة حفظ الحياة تعبير عن ضائقة ومأزق وعن ضعف وتضييق لغريزة الحياة الجوهرية، التي هي التوسع في القوة ، بل إن هذه الغريزة غالبا ما تجعل حفظ الحياة تعبيرا عن خطر ما، والذى يسود الطبيعة هو الضائقة والمأزق ، بل الفيض والتبذير حتى إلى درجة الجنون. وليس تنازع البقاء الا حالة شاذة وتضيقا مؤقتا على إرادة الحياة . إن نزاع الكبير والصغير يدور حول السيادة والنمو والاتساع ، حول القوة ، وتبعا لإرادة القوة التي هي إرادة الحياة [٧٨].

لقد رفض نيتشه فكرة " البقاء للإصلاح "في تفسيره للأخلاق . ولكنه تمسك بفكرة " الصراع "الذى قام بتحويلها من صراع مادى الى صراع عقلي . حيث جعل مرجعية فكرة القوة والضعف تعود إلى العقل وليس المادة، فالقوة هنا تعنى زيادة الوعى المعرفي وإتساعه ، والتي هي نفسها تعبر عن تحقيق الحياة ، بالعلو على الذات

الانسانية وتجاوز الانسان العادي. الذى يراه نيتشه نافيا للحياة إلى الانسان الأعلى، حيث قوة السيادة. فتتحقق أخلاق السيادة عندما تحل إرادة القوة محل القوالب الثابتة ، فهي إرادة لدفع القيم الثابتة بإرداه القوة .

هنا يطرح السؤال نفسه ألم يستبدل نيتشه إرادة ثابتة" الارادة الالهية "بإرادة أخرى ثابتة الإرادة الإنسانية ؟ فأراده القوة هي الأساس الثابت الذى يكشف عن حقيقة الحياة.

وبناء على ما تقدم نستطيع القول إن الأخلاق عند " نيتشه" ليست أخلاق "بيولوجية "الا في الجانب الحيوي التطوري، ولكنها أيضا أخلاق ميتافيزيقية . ففي تفسيره لمفاهيم الأفعال الأخلاقية . رأي أنه لأبد من إستخدام المنهج "الجينالوجى " باعتباره فقها للغة ،حيث يرى أن الوجود ليس واقعا خاماً ، بل هو سلسلة تأويلات، كذلك الظواهر والأشياء وكل فعل للقوة . ولذا فان قيمة الأشياء متوقفة على المعنى الذى نعطيه إياها ، ومن هنا فإن تاريخ التأويلات المختلفة التي نتعاقب عليها أو هو تاريخ تعدد المعاني [٧٩].

"فالجينالوجى" تماثل البحث عن الجذور ، وهذا البحث كان يوجهه السؤال التالي ، كيف يمكن ان يظهر أي شيء ضده ؟ أو بالضبط الحقيقة من البطلان؟ أو الرغبة في الوصول الى الحقيقة من الرغبة في الخداع ؟ أو الصنيع الكريم من الانسانية ؟ أو المنتصر النقي الوضاء لدى الحكم من الجشع والطمع ؟ فقد رأي "نيتشه " إن كثير من المفاهيم الاخلاقية الشائعة قد تكون غير اخلاقية ، لأنها ليست خير او شر في ذاتها ، بل وفقا للإرادة القوة . فالفعل لا يصبح أخلاقي لأنه حسن او طيب ... وغيرة . وكذلك لا يكون غير أخلاقي لأنه سيء او شرير او قبيح بل يكون" خير "وفقا للفاعل[٨٠]. فطبقة العبيد هي التي تقلب القيم" فأخلاق العبيد تعبر عن الشك المتشائم بإزاء وضع الانسان ، لا ترضى بفضائل الأقوياء ، حيث يرى أن سعادة الأقوياء ليست سعادة حقيقية ، أخلاق تمجد الشفقة والعطف والمثابرة ، ترى أن الشرير هو الذى يثير الخوف ، والرديء هو المهمل المحتقر ،والانسان الخير من جهة نظر العبيد لا يجب أن يكون خطيرا ، فهو يقول بثنائية الخير والشر ، فالقوى هو الذى يرد الخير بالخير والشر بالشر ، بينما الضعيف لا يستطيع ذلك "[٨١].

فالمعاني الاخلاقية يتضمن بعضها البعض ، فالعبيد يحقدون على السادة نظراً لعدم إمتلاكهم القوة ، ويتمثل هذا الحقد في الضعف وليس القوة ، حيث لا

يعبرون عنه بأي شكل من أشكال العنف غير الزهد وعدم الرغبة في الحياة. ومن هنا يصبح الزهد عنفاً لأنهم يرفضون التمسك بالحياة" العالم الواقعي "ويفكرون في الموت" العالم الاخر " من منطلق الحقد على الاقوياء.

وبناءً عليه يذهب " نيتشه " إلى تأويل الأفعال الأخلاقية، من منطلق عملي حيث يربطها بالفاعل، فالفاعل هو الذي يحدد مفهوم الفعل الأخلاقي، أي أن الإنسان هو واضع القيم الأخلاقية، فهو مقياس القيمة، بالتالي تصبح القيمة نسبية وليست مطلقة. لا يوجد الخير المطلق أو الشر المطلق، بل يكون الفعل خير أو شر وفقاً للذات الإنسانية القائمة بالفعل. ولم يكتف "نيتشه " بهذا التفسير العملي لسلوك الأخلاقي بل نجده جمع بين ما هو عملي وما هو نظري من خلال تعميق البحث في الذات الإنسانية، فعندما أرجع على سبيل المثال الغيرية إلى الأنانية فكان ميتافيزيقيا في تلك الرؤية، التي جمعت بين ما هو نظري وما هو عملي، لكي يصل إلى الوحدة.لأنه يرفض الثنائية في الأفعال الأخلاقية" الغيرية / الأنانية ." فقدم لنا رؤية ميتافيزيقية للأخلاق تقوم على الوحدة بين الأضداد. فالرجل النبيل لا يعرف الحقد، وإن عرفه، فإنه لا يحتفظ به، لا يعرف العجز وعدمٍ التسامح، فهو قوي ويسامح، لأنه لا يحتفظ بالإساءة والأفعال الحقيرة، فهو دائما يتمسك بالقوة والسمو الذي يستشعره في ذاته. فالخير عنده لا يصدر عن ضعف أو كراهية ولكن يصدر عن إحساس بالقوة والامتلاء .فالخير هو الذي يؤدي إلى الشعور بالقوة، والشعور بالقوة يضيف الخيرية إلى الأفعال .

وبالإضافة إلى ذلك نجد " نيتشه " قد وحد بين أخلاق السادة والعبيد، حيث يرى لكي يكون هناك ما يسمى بأخلاق السادة، فلأبد من وجود أخلاق العبيد لكي يسعى الإنسان إلى تجاوزها باستخدام إرادة القوة ليصل إلى أخلاق السادة . التي ميزها من قبل عن أخلاق العبيد هنا قد تناقض " نيتشه" مع نفسه حيث يقول عندما" لقد تيقنت وجود إرادة القوة في كل حي ورأيت الخاضعين أنفسهم يطمحون إلى السيادة، لأن في إرادةٍ الخاضع مبدأ سيادة القوى على الضعيف، فإرادة الخاضع تطمع إلى السيادة أيضاً للتحكم فيمن هو أضعف منه وتلك هي اللذة الوحيدة الباقية لها، فلا تتخلى عنه، وبما أن الأضعف يستسلم للأقوى والأقوى يتمتع بسيادته على هذا الأضعف، فإن الأقوى يعرض نفسه للخطر في سبيل قوته فهو يجازف بحياته مستهدفاً الأخطار . إن إرادة القوة كامنة في مجال التضحية

والخدمة المتبادلة بين نظرات العاشقين، لذلك يتجه الأضعف إلى السبل الملتوية قاصداً اجتياز الحصن والتربع على قلب الأقوى مستولياً على قوته"[٨٢].

ومن هنا نجد " نيتشه" ينتهي بالإقرار بحق السيادة لكل من القوي والضعيف، فإذا كانت السيادة ترتبط بالأخلاق، فإننا نجد "نيتشه" يعلن أن لكل إنسان إرادته، فإرادة القوة لا تقتصر على السادة فقط، كما أن سيادة لا تقتصر على الطبقة الأرستقراطية، لأن السيادة متداولة بين القوي والضعيف. فالضعيف له من السبل التي يصل بها إلى السيادة والسيطرة على الأقوياء.

ومن هنا نتساءل لماذا نقد نيتشه الأخلاق المسيحية باعتبارها " أخلاق عبيد "وفي نفس الوقت أقر بضروريتها باعتبارها دافعاً لوجود أخلاق السادة تدفع الإنسان إلى الرقي بسلوكه الأخلاقي؟

كما نجده أيضاً في تحليلاته للأخلاق يجمع بين السادة والعبيد فيما يسمى بإرادة القوة، التي هي موجودة في كل إنسان. وليس القوي فقط فكان نقده للأخلاق المسيحية من أجل إعادة تأويلها، بحيث يقدم رؤية أكثر وضوحا للأخلاق . ومن هنا نستطيع القول أن نقده لها كان مجرد وسيلة، وليس بغاية سعى "نيتشه " بفلسفته من أجل تحقيقها بل نجده في فلسفته الأخلاقية قد جمع بين الأضداد، فجمع بين الفكرة ونقيضها. فالأضداد عند" نيتشه "هي جوهر الحياة، من خلال الصراع بينها. وهنا نجد مدى تأثر نيتشه بالفكر اليوناني، وبخاصة فلسفة هيرقليطس، فلسفة التغير" المستمر وتجديد دورة الحياة تلك الفكرة التي إستلهم منها" نيتشه "فكرته عن العود الأبدي، وتفسير المفاهيم والأفكار بالعودة إلى أصولها الأولى.

٥- <u>العود الأبدى والإقرار بالعالم الأخر</u>:

العود فى الأساس فكره يونانية الأصل ، مشتقه من اللفظ الأجنبي المكون من مقطعين "palin "وتعني" مره أخرى"و " Genesis " بمعنى" ميلاد". "أى أن الكلمه تعنى الرجوع الى الحياة مرة أخرى بعد الموت ، حيث أنها ترادف معنى البعث. " Rerurrection "

العود الأبدى "Relarnendlles " نظريه يونانية قد أخذها الرواقيون عند "هيرقليطس"، وتعنى الرجوع الدورى للأشياء والحوادث رجوعاً أبدياً. فالأشياء تتكرر فى دورجديد، ماحدث فى الأدوار السابقة . وبذلك تقرر أن العالم لا يفنى ، إنما يعود

بعد آلاف السينين لما كان عليه من قبل ، أى بنفس الأحداث السابقه . قد استخدمها "شارل بونه " بنفس المعنى عندما قال أن جميع الكائنات الحيه ، تولد فى كل دور ولادة جديدة . لأن فى كل كائن من بذوراً لايلحقها الفساد ، تسمح بولادته من جديد بعد الموت ، بالدرجة التى تمكنه من إستئناف حياة جديدة ، تتناسب مع طبيعة العالم الأبدى الجديدة(٨٣).

بذلك كانت لفكرة العود الأبدى أصول يونانيه معروفه ، ولا يمكن إنكارها ، حيث نجدها فى فلسفة" انكسمندريس " عندما قال بعدد لا متناه من العوالم الذى يتعاقب ، وتحدث عنها "هيرقليطس" عندما قال بأن النار هى عنصر الكون الأساسى، والتى تلتهم العالم بعد فتره وأخرى, فيعود العالم بعد ذلك عوداً مماثلاً لصورته السابقة .وذلك من خلال دورات معينة من الزمان. أما" أنباذوقليس " فقد قال بتتابع أبدى للعوالم بشكل متتالى ، تكون ثم تفسد. وقد شهد " أفلاطون" و" أرسطو " .بأنه رأى العالم فى حالة تغير دائم ، يتم خلاله تبادل السيطرة بين قوتى الحب والكراهية ، يتم الكون دورته عندما تسيطر أحد هاتين القوتين على الأخرى . كما نجدها أيضاً عند "الفيثاغورية"، عندما قالوا بعود الزمان وتكرار الحوادث فى العالم، مثلما تكرر حذف فصول السنه بعد أتمام دورتها(٨٤).

ونستنتج من ذلك أن نظرية " العود الأبدى" نظرية قديمة أتفق عليها الكثير من الفلاسفة اليونان بإعتبارها نظرية ميتاقيزيقية لتفسير حقيقة الوجود و الزمان . بذلك فهى ليست بأسطوره – كما يدعى البعض_ وإن كان بذورها الأولى إلتصقت بالفكر الأسطورى .وقد تأثر بها الفلاسفة المحدثون مثل" نيتشه "حيث أرجع تأويله للمعانى الأخلاقيه للأصل الأول فى الفكر اليونانى متعمداً العود بالفكر إلى الماضٍ. كما نجده يعلن عن نظرية العود الأبدى بقوله" إن حيوانك يعرفان من أنت" يازاردشت " ، ما ستكون ، مما أنت إلا البنى المعُلن لتكرار عودة الأشياء الى الأبد ، وهذا ما قدر عليك القيام به منذ الأن ، أن تكون أول من ينشر هذه التعاليم . وكفاك بهذا العمل عله وأخطاراً . ما غريب عنا تعليمك" يازاردشت " فأنت تقول بأن جميع الأشياء تعود أبداً، ونحن معها عائدون . وبأننا وجدنا من قبل مراراً لإعدادها ، ومعنا جميع الأشياء أيضاً. أنت تقول بالسنةالعظمى المتكررة، وهى كالساعة الرمليةتنقلب كلما فرغ أعلاها ليعود

أدناها إلى الإنصباب من جديد . وهكذا تتشابة السنوات كلها بإجمالها وتفصيلها ، كما نعود نحن متشابهين لأنفسنا إجمالاً وتفصيلاً فى هذه السنه العظمى" [٨٥].

هنا يعلن نيتشه" صراحة فى هذا النص ، أنه أول من أعلن عن فكرة " العود الأبدى " ، بالرغم من وجودها فى الفلسفة اليونانية من قبل . وقد يكون هذا الأدعاء بسبب إعتقاده بعظمة الفكره للدرجة التى رأى أنه من الممكن الأكتفاء بها عما سواها. وليقينه بأن الأشياء كلها حتماً ستعود بشكل متكرر بفعل الزمان ، وهذا التكرار يشبه " نيتشه " بالساعة الرملية تنقلب كلما فرغ أعلاها ، لتعود لأدناها . فالزمان عند" نيتشه " لا يمر بالمراحل الزمنيه المعروفه (ماضٍ- حاضر- مستقبل) ، لأنه عندما تصدر الحكم على الحاضر ، معناه توقف الزمن . فحركة الزمان ماضٍ ومستقبل، فعندما نصل الى نهاية الحياة الطبيعية (الموت) نعود الى بدايتها الأولى (الماضٍ) ، فالتكرار هنا بين المستقبل والماضٍ.فمستقبل الحياة هو الموت ، والموت ينقلنا الى الماضٍ وهى (الحياة) وهكذا بشكل أبدى لا يتوقف . وهذاهو الجديد الذى أتى به " نيتشه" فى نظريته حول العود الأبدى ، حيث يكون التكرار بين الماضٍ والمستقبل فقط .فالعود الأبدى عود الى الماضٍ بكل تفاصيله الصغيرة، فكل شئ سيعود فى هذا العالم بشكل أبدى ثابت لا يتغير . ويؤكد " نيتشه " هذا المفهوم بقوله" سأعود بعودة هذه الشمس وهذه الأرض ومعى هذا النسر ، وهذا الأفعونٍ ، سأعود لا لحياة جديدة ، ولا لحياة أفضل ، ولا لحياة مشابهة ، بل أننى سأعودٍ أبداً إلى هذه الحياة بعينها إجمالاً وتفصيلاً ، فأقول أيضا بعودة جميع الأشياء تكرارا وأبدا". [٨٦]

يرى "نيتشه" أنَ الوجود فى تغير مستمر ، ولكن مفهوم هذا التغير لم يكن عند " نيتشه " ، كما كان عند الفلسفات السابقة عليه . التى ترى أن التغير المستمر هو وحده حقيقة الوجود ،لأن مفهوم التغير عند "نيتشه" يختلف عن الفلسفات السابقة ، حيث جعل" الثبات" متضمناً داخل" التغير" ، فكل شئ سيعود الى حالته الأولى بشكل غير نهائى ، وكل ماضٍ سيكون موجوداً فى دورات متكرره بشكل ثابت داخل زمن متغير .مثلاً حياة الإنسان فى الماضى ، هى الأساس الثابت للدورات المتعاقبة بشكل غير نهائى من خلال الزمان اللانهائى ، وبالتالى يذهب "نيتشه" إلى الجمع بين الأضداد ، أى الجمع بين التغير والثبات . من هنا نجده يرجع الثنائية إلى الوحدة ، فى تفسيره للوجود . عندما جمع بين التفسيرات الميتافيزقية لحقيقة الوجود ، كما عند بارمنيدس

الذى قال بالثبات و"هيرقليطس" الذى قال بالتغير إلى وحدة وتجانس ، من خلال نظريتة الميتافيزيقية حول العود الأبدى ، بحيث أصبح التغير يرجع الى ذاته على الدوام ، فهوتحول خالد ، تصطبغ كل مرحلة بصبغة الأبدية. ففى كل مرحلة من مراحل التغير الدائم ثبات أزلى ، وإن كان مخالفاً لذلك الثبات الذى قال به أنصار الوجود المطلق . بذلك جمع " نيتشه " فى فكرة " العود الأبدى" بين نزعيتين متعارضتين هما : الحاجة إلى المتناهى والمتحدد عينياً ، والحاجة إلى اللامتناهى وإلى العلو" (٨٧) .

فالعود الأبدى عند" نيتشه" يوفق بين التناهى واللامتناهى ، من خلال رفض فكرة " الحاضر" أو التوقف الزمنى . فالزمان ليس منتهياً، حيث يمتد إلى مالانهاية ، والعالم يصبح فى حالة" عود أبدى "ولا شئ يستوقف، لأنه فى ديمومة أبدية ، والديمومة تتطلب زمان لانهائى.

وبناءً عليه نستطيع القول أن" نيتشه " استطاع أن يضع رؤيه ميتافيزيقية تجمع بين النهائى واللانهائى أو الثبات والتغير فى وحدة واحدة ، هى" العود الأبدى " حتى يُفكك القوالب الثابتة الأخرى التى تفسر الوجود ،ولكننا وجدناه استبدالها بقالب ثابت ، يجمع فيه القوالب الثابتة السابقة فيما يسمى" العود الأبدى. "

ولما كان العود الأبدى عوداً إلى الماض ، لأن الزمان لا يتوقف بموت الأنسان ، فالموت مرحلة إنتقالية للحياة فى العالم الأخر ، تلك الحياة التى تعود بالأنسان الى ماضيه بكل تفاصيله ، لكى يعيش هذا الماضى فى تكرار أبدى الى مالانهايته . فى العالم الأخر فالماضى هو الحياة الأولى للأنسان ، وبالتالى يقرر" العودالأبدى " كل ماقُرر فى الماضٍ ، بحيث تصبح الحقيقة النهائية للوجود وحدة تتكرر بأستمرار ، وهى الإقرار بالعالم الأخر .

هنا نتساءل عن ماضٍ "نيتشه" ؟ ألم ينشأ نشأة دينية جعلته يتشبع بالتعاليم الدينية المسيحية ، حيث كانً يرتل الإنجيل كأنه يتغنى به ، وتحلى بالأخلاق المسيحية، حتى أطلق علية " القس الصغير"؟ ألم يملأ الإيمان قلبه، فكان صاحب مشاعر فياضه تجاه الإله ، فكتب قصائد من الشعر يناجى فيها الإله ، تعبر عن حبه وإيمانه به وهو فى سن العشرين من عمره ؟

ألم يتألم " نيتشه" عندما أعلن موت الإله وندم على فعلته؟ ألم تكن تلك الحياة هى الحياة الأولى " لنيتشه " التى أقر بأنها هى الحقيقة الأبدية التى يعيش فيها الإنسان بشكل مطلق من خلال نظريته فى" العود الأبدى"

ونستخلص مما سبق أن عنف نيتشه ضد المقدس لم يكن لتأكيد الإلحاد _ كما ذهبت بعض القراءات _ ولكن لتأكيد الإيمان ، فكان العنف وسيلة من أجل تعنيف الذات الأنسانية ،التى تركن إلى الضعف والرهبة وتعطيل الإرادة الإنسانية ، بالزهد فى الحياة الدنيا وعدم السعى من أجل الارتقاء بالذات. والتى رأى " نيتشه" أنها لا تنفصل عن الحياة الأخرى وفقاً لنظرية العود الابدى . فالعالم الحقيقي لا ينفصل عن عالم الظاهر،لأن حياة الإنسان الأولى فى عالم الظاهر . هى الحياة الأبدية فى العالم الحقيقى ، ولذلك يقرر نيتشه "إن تقسيم العالم إلى :عالم حقيقى وعالم ظاهر، سواء على الطريقة المسيحية أو على طريقة كانط: لا يمكن أن يصدر إلا بإيعاز من الأنحطاط ، ولا يمكن أن يكون علاقة حياه آفلة ، وكون الفنان يرفع الظاهر فوق الحقيقة ، لا يبرهن على أية معارضة لهذه الأطروحة ، لأن الظاهر هنا، يعني كذلك الحقيقة مكررة ولكنها منقاة ، مدعمة ، مصححة"(٨٨) .

وبناءً علية يؤكد" نيتشه " على الجمع بينهم ، فلم ينكر العالم الحقيقى فى مقابل عالم الظاهر، بل أقر بالعالم الأخر الحقيقى ، و الأقرار به يعنى الأقرار بجوهر هذا العالم وهو" الله "
هذا الأقرار متوقف على قدرة الإنسان العادى على الإرتقاء بذاته والعلو عليها، من أجل تحقيق ما ينبغى أن يكون عليه الأنسان (الأنسان الأعلى) ، الذى لايمكن أن يوجد إلا أذا أرتقى الإنسان بسلوكه وقيمه ، ليعلو بذاته فى الحياة الدنيا، والتى هى فى الحقيقة ليست إلا ماضٍ أبدى ، وهذا الماضى كما يقول نيتشه " لابد أن نخلص الماضى ، وأن تحول إلا ذلك، ما كان ،إلا ذلك ماأردت، وهو ما أسميه خلاصاً"(٨٩) .

فالخلاص عند " نيتشه " يتحقق بفعل الإرادة الأنسانية التى تريد الخلاص ، بما تقدمه لذاتها من أرتقاء بالسلوك، ولذلك لابد أن يستخدم الإنسان إرادته الواعية من أجل تأكيد إيمانه ، بأن يتصارع مع ذاته وينقى غرائزه ويسعى للسمو بوعيه وقيمه ، حتى لا يكون إيمانه بدون وعى، فيجعله يحمل بداخله كل المشاعر السلبية من رفض للحياه وحب للتضحيه والفناء . لذلك يسعى " نيتشه" إلى إستبدال هذه المشاعر السلبية بمشاعر أخرى إجابية ، تعلمه حب الحياة ومجاهدة للنفس ، لا من

أجل السلوك، ولكن من أجل الخلاص بالعقيدة. وقد ذهب "نيتشه" لتأكد ذلك فى كتابه" العلم المرح " تحت عنوان العقيدة هى التى تُنجى بقوله" أن الفضيلة لاتمنح السعادة ونوعاً من الخلاص ، إلا لأولئك الذين يؤمنون بفضيلتهم: ليس لها الأرواح الشفافةالتى تقتضى فضيلتها الأحتراس التام من الذات ، ومن كل الفضائل ، أذًا هنا أيضاً نلاحظ جيداً أن العقيدة هى التى تُنجى وليس الفضيله"[٩٠] .

وفى النهاية نستطيع القول أن " نيتشه " ذهب إلى الإقرار بالله ، بعدما حطم كل الأفكار السابقة،التى شبهها بالأصنام، متمسكاً بحريته وقوة إرادة ، وإيمانه بالحياة الأبدية ، فالإيمان بالله يقتضى بالطبع تحطيم كل الأصنام .

نتائج البحث

١. العنف ليس سلوكا طبيعياً، بل سلوك ضد الطبيعة لأنه مفهوم ليس فطريا ، بل مكتسبا. فالحياة ليس في جوهرها عنف . كما أن الدين لا يمكن أن يكون مصدرا للعنف ، لأنه رسالةأخلاقية تدعو الى التسامح والمحبة ، بالتالي إستخدام البعض للعنف باسم الدين ، ليس له ما يبرره على الاطلاق ويعتبر موقف نيتشهمن الأخلاق الدينية دليلاعلى ذلك ،لأنه وجه العنف إلى الضعف اللاعنف.

٢. نيتشه صاحب شخصية مزدوجة تجمع بين العنف واللاعنف في شكل جدلي ، فجاءالعنف عنده وسيلة تعيد الحياة للإنسان الضعيف ، حتى يكون أكثر تميزا وتفوقا على ذاته . بحيث يصبح التطور والابداع والعلو ،هما الغاية التي يجب أن يسعى إليها الإنسان . ولكي يصل الإنسان إلى غايته لابد من تفكيك التأويلات الأخلاقية الثابتة ، لكى يكشف الإنسان عن إرادة القوة لديه وصولاً إلى الحقيقة بذاته.

٣. النهوض بالحياة بإستخدام إرادة القوة هو المعيار الأخلاقي الثابت ، الذى سعى نيتشه إلى تحقيقه، بالرغم، من رفضه للمعايير الثابتة. فكان بذلك ميتافيزيقيا، بإعتقاده أن الحقيقة القصوى للعالم هي إرادة القوة.

٤. ربط نيتشه بين الحقيقة والأخلاق أو بين الأخلاق والمعرفة ، ليضع رؤية جديدة للقيم الأخلاقية، مستخدما إرادة القوة كمعيار ، يجب أن تقيم على أساسه السلوك الأخلاقي ، وجعل مرجعية فكرة القوة والضعف تعود إلى العقل، فالقوة هنا تعنى زيادة الوعى المعرفي والعلو على الذات وتجاوزها.

٥. لم يستطع نيتشه أن يحقق الموضوعية بمعزل عن الخير والشر في تقييمه للقيم الأخلاقية ، حيث رأى أنه لكى نحكم على الأخلاق، لأبد من الابتعاد عنها، حتى يكون حكمنا موضوعيا ، وبالرغم من ذلك نجده عندما ذهب إلى تأويل الاخلاق ، لم يضع لها تفسيرا ، إلا من خلال تعمق الذات، حيث يقرر أنَ الافعال الأخلاقية لا تفسر، إلا من خلال الفاعل" الذات" فإبتعد بذلك عن الموضوعية برؤية ذاتية واضحة في تأويلة لمعانيالأخلاق.

٦. قدم نيتشه رؤية ميتافيزيقة للأخلاق تقوم على الوحدة بين الاضداد ، حيث ذهب الى تأويل الأفعال الأخلاقية من منطلق عملي بربطها بالفاعل باعتباره هو الذى يحدد مفهوم الفعل الأخلاقي، ثم نجدة بعد ذلك

يجمع بين ما هو عملي وما هو نظري من خلال تعميق البحث في الذات الإنسانية – فعلى سبيل المثال - أرجع الغيرية الى الأنانية، فكان ميتاقزيقياً في تلك الرؤية التي جمعت بين ما هو نظري وما هو عملي في وحدة واحدة.

٧. إذا كان نيتشه قدأقر بثنائية الأخلاق" السادة والعبيد " إلاَ أنه لم يستطع الإحتفاظ بتلك الثنائية، عندما قال بأن السيادة متداولة بين القوى والضعيف. وأن أخلاق العبيد ضرورة لوجود أخلاق السادة. بذلك جمع بينهما في تجانس ووحدة، فيما يسمى بإرادة القوة التي رأى أنها موجودة في كل إنسان.

٨. إن عنف نيتشه ضد المقدس المسيحي، كان بسبب انتصارة لمبدأ القوة على الضعف، حيث رأى أهمية إرادة القوة في الحياة، تلك الحياة التي يتفاعل معها الإنسان، حتى يعلو ويرتقى بقيمه الأخلاقية مما يجعله يحقق تميزه وتفوقه. ولأجل ذلك أنتهك المقدس المسيحي لأنه لا يتماشى مع رؤيته الفلسفية التي تتوج إرادة القوه، فتجعل الإنسان يتمسك بالقيم التي ترتبط بالحياة والقوة وليس بالعدم والضعف.

٩. إعلان "نيتشه" موت الإله، ما هو إلاَ تأكيد على وجوده. أولاً :لأنه يتضمن الاقرار بوجوده مسبقاً. ثانياً :الموت عند "نيتشه "يرتبط بالحياة الأبدية وفقاً لنظرية" العود الابدي "،إذاً فإعلان موت الإله عند "نيتشه" ما هو في حقيقة الأمر إلَا تأكيد على وجوده الأبدي. فهو لم يرفض وجوده بشكل مطلق، بحيث يدعو الى الإلحاد والعدمية – كما يرى البعض – بل الرفض كان موجها للتأويل المسيحي لطبيعة الإله التي تتسم بالضعف وليس القوة. وقد أكد هذا المعنى عندما ذهب إلى القول بأن الإله الذى يجب علينا أن نعبده، لا يمكن أن يكون ضعيفا بل يجمع بين القوه والضعف.

١٠. يؤكد " نيتشه" على ضرورة النقد، حتى يتمكن الإنسان من تكوين رؤيةٍ واضحةٍ للأفكار السائدة، لذلك جاءت رؤيته" لموت الإله "مؤسسة على

اللاعقل والعقل معا. فنقد الإله لكونه يدعو الى أخلاق المحبة والتواضع والتضحية والزهد والمساواة ... وغيرها من الأفعال التي يرفضها "نيتشه". حيث رأى أن الإله لابد أن يجمع بين القوة والخير والتسامح والعنف معاً .

ولذلك إستخدم " نيتشه" النقد والتفكيك ليس من أجل إنكار المقدس الديني ، بل من أجل الإقرار به. حيث رأى أن قدرة الإله على البقاء ستكون أقل بدون الخرق. وبذلك جعل التفكيك ضرورة من ضرورات الإيمان وليس الإلحاد، حيث يُعلن أن بقاء الإله يرتبط بأعمال النقد العقلي ، وهذا تصريح واضح بالإبقاء على فكرة الألوهية ، التي ربطها بأساس فلسفته فى" إرادة القوة " ليعطي لنا تأويلاً جديداً لمفهوم الإله .

١١. لقد أقر" نيتشه" بالعالم الأخر– الذى جوهره الإقرار بالإله– من خلال نظرية" العود الأبدي" التي ترى أن الموت ما هو إلا مرحلة إنتقالية للحياة الأبدية في العالم الأخر، الذى يعيش فيه الإنسان بشكل أبدى بعدالموت ، بحيث يكون مستقبله ماضيه. والإنسان سوف يعيش في الماض بشكل أبدي ، فماذا كان ماض نيتشه؟ ألم يكن معترفاً بوجود الإله المسيحي؟ ألمً يتشبع بالأخلاق الدينية المسيحية، حتى أُطلق عليه "القس الصغير" من كثرة ترتيله للإنجيل ، وقصائده الشعرية في مناجاة الإله. إذًا فالحياة الأبدية عند " نيتشه" تقوم على الإقرار بالألوهية بشكل أبدي.

١٢. وفي النهاية نستطيع القول : أن إعلان" نيتشه" موت الإله له تأسيس ميتافيزيقي ، من خلال نظرية " العود الأبدى" ، فجاء عنفه ضد المقدس الدينى ، ليس بغرض الإلحاد والإنكار ولكن وسيله من أجل والارتقاء والإبداع للإقرار بمشروعية الإله المقدس بشكل مطلق ، حيث ربط بين فكرة الخلاص والتمسك بالعقيدة، بذلك لم يتخل " نيتشه" على الإطلاق عن فكرة التقديس .

الهـامـش

(1) Tudor Cosme. Purmavel, "Violence as philosophical Theme" New York,

2009, p. 238.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق :عبدالله الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة ، دار المعارف ، الجزء الرابع، مادة "عنف" ، بدون تاريخ، ص،٣١٣٢ . وأيضا مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز، القاهرة، مجمع اللغة العربية، الطبعة الأولى، مادة "عنف" ، ١٩٨٠،ص،٤٣٧ .

(3) Oxford dictioner "violence", New York, 1998, P. 155.

(٤)جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، دارالكتاب اللبناني، الجزء الثاني،١٩٨٢، ص،١١٢-١١٣.

(٥) مراد وهبه، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠١٦، ص ،٤٩٢ .

(٦) منى أبو سنة، ديالكتيك العنف والمقدس، سلسلة قضايا العصر" العنف المقدس"، القاهرة، دار الثقافة،

عدد٢، طبعة ١، ١٩٩٦، ص، ٨١ .

(٧) المرجع نفسه، ص، ٨٢ .

(٨) المرجع نفسه، ص، ٨٤ .

(٩) حنا أرندت،" في العنف"، ترجمة إبراهيم العريس، بيروت، دار الساقي، الطبعة الأولى،١٩٩٢، ص ٤٥.

(10) Tudor Cosma. purmavel, op.cit, p.p. 239 – 241.

(11) Ibid., p. 238.

(١٢) حنا أرندت، مرجع سبق ذكره، ص،١٢ .

(13) Piotr Hoffman," violence in modern", New York, 1989, p. 6.

(14) Vittorio. Bufacchi, "Two Concepts of violence" in "Polilitical Studies

Review", Vol. 3, 2005, pp. 193 – 204.

(١٥) حسن حماد، ذهنية التكفير، الأصوليات الإسلامية والعنف المقدس، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب،

٢٠١٥،ص، ٥٦ .

(١٦) محمد عبدالله دراز، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، القاهرة، دار القلم، ١٩٥٢، ص ٣٠-٣١.

(١٧) مراد وهبه، المعجم الفلسفي، مرجع سبق ذكره،ص، ٣٥٥ .

(١٨) المرجع نفسه، ص،٦٩٤ .

(١٩) فؤاد كامل، مدخل إلى فلسفة الدين، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص، ١٥ .

(٢٠) مراد وهبه، منطق العنف، سلسلة قضايا العصر" العنف المقدس"، مرجع سبق ذكره، ص، ٣.

(٢١) حسن حماد، مرجع سبق ذكره، ص،٩٨ .

(٢٢) روني جيرار، العنف والمقدس، ترجمة سميرة ريشا، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص،٥٣.

(٢٣) المرجع نفسه، ص، ٥٢ .

(24) Hollingdale. R. J., "Nietzsche", London, 1985, p. 3.

(٢٥) جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، بيروت، دار الطليعة، ط ١، ١٩٨٧، ص، ٦٢٥ .

(٢٦) أحمد أمين وذكي نجيب محمود، قصة الفلسفة، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، الجزء الأول، الطبعة السادسة، ١٩٨٣، ص، ٣٣٥ .

(27) Geoffrey Clive," The philosophy of Nietzscne", New York, 1965, p. 49.

(٢٨) (أحمد أمين وزكي نجيب محمود، مرجع سبق ذكره، ص، ٣٢٣ .

(٢٩) صفاء جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، الإسكندرية، دار المعرفية الجامعية ، الطبعة

الأولى، ١٩٩٩، ص، ١٨-١٧ .

(٣٠) فريدريش نيتشه، ديوان نيتشه، ترجمة محمد بن صالح، بيروت، منشورات الجمل، الطبعة الثانية،

٢٠٠٩، ص ، ٧٧-٧٨ .

(٣١) فؤاد زكريا، نيتشه، سلسلة نوابغ الفكر العربي، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٥٦، ص،١٧.

(٣٢) المرجع نفسه، ص، ٦٣ .

(٣٣) الشيخ محمد محمد عويضه، فردريك نيتشه نبي فلسفة القوة، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة

الأولى، ١٩٩٣، ص ،١٢.

(٣٤) أحمد أمين وزكي نجيب محمود، مرجع سبق ذكره، ص،٣٣٤.

(٣٥) فريدريك نيتشه، شوبنهور مربياً، ترجمة قحطان جاسم، لبنان، ضفاف للنشر، ط١،٢٠١٦،

ص،٤٢.

(٣٦) شوبنهور، العالم إرادة وتمثلاً، ترجمة سعيد توفيق، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، عدد ١٥٧،

المجلد الأول، ٢٠٠٦، ص،١١.

(37) Nietzsche, F.W., Thus spake zarathUstra, translated by Tille. A and

Revised, New York, 1933, p. 106.

(٣٨) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩، ص، ٤٠٦-٤٠٧.

(٣٩) نيتشه، إرادة القوة، محاولة لقلب كل القيم، ترجمة محمد الناجي، المغرب، دار أفريقيا الشرق، ٢٠١١،ص،٦١ .

(40) Nietzsche, F.W. Thus spake zarathustra, op. cit, p. 142.

(41) Ibid., p. 128.

(٤٢) نيتشه، هذا هو الإنسان، ترجمة مجاهد عبدالمنعم مجاهد، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة،

١٩٩٧،ص،١٢٧.

(43) Nietzsche, F.W, Thus spake zarathustra, op. cit, p. 33.

(44)) Ibid., p.33

(٤٥) نيتشه، إنسان مفرط في إنسانيته، ترجمة محمد الناجي، المغرب ، دار أفريقيا الشرق، ج1 ، ١٩٩٧،ص،٩٢.

(٤٦) يسري إبراهيم، نتيشه عدو المسيح، القاهرة، سينا للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص ٤٤ .

(٤٧) المرجع نفسه، نفس الصفحة .

(٤٨) لورانس جين، كيتي شين، نيتشه، ترجمة إمام عبدالفتاح إمام ، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة ، عدد ٣٩٧ ، ٢٠٠٢، ص ٤٠ .

(49) William. Kelley. Wrilht, Ahistor y of Modern philosopy, New York,1970, p. 384.

(50) Nietzsche. F.W, Thus spake Zarathustra, op. cit, p. 59.

(51) Ibid., p. 100.

(52) Nietzsche. F.W., Beyond good and evil, transladed by Wlater Kawfmann. New York, 1966, p. 163.

(٥٣) فريدريك نيتشه، العلم المرح، ترجمة حسان بورقية ومحمد الناجي، المغرب، در أفريقيا الشرق، ١٩٩٣، ص ٩٢ .

(54) Burgard. J. peter, Nietzsche and the feminine, London, 1994, p. 80.

(٥٥) فريدريك نيتشه، العلم المرح، مرجع مذكور، ص٨ .

(٥٦) لورانس جين، كيتي شين، مرجع سبق ذكره، ص ٥١ .

(٥٧) فؤاد زكريا، مرجع سبق ذكره، ص،١٢٣ –١٢٤.

(٨٥) فريدريك نيتشه، إرادة القوة، مرجع سبق ذكره، ص،٨٧.

(٥٩) فريدريك نيتشه، نفس المرجع، ص، ٨٧.

(60) Nietzsche, F.W. thus spake Zarathustra, op. cit., p. 6.

(٦١) فريدريك نيتشه، آفول الأصنام، ترجمة حسان بورقية ومحمد الناجي، المغرب، دار أفريقيا الشرق،

الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص،٣٩-٤٠.

(62) Geoffrey, clive, the philosophy of Nietsche, op. cit, p. 415 416.

(٦٣) فريدريك نيتشه، العلم المرح، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٥ .

(٦٤) فريدريك نيتشه، نقيض المسيح، ترجمة علي مصباح، بيروت، منشورات الجمل، ٢٠١١، ص ٤٨ .

(٦٥) حسن حنفي، بين ياسبرز ونيتشه، سلسلة أوراق فلسفية، جذور ما بعد الحداثة، بيروت، دار الفارابي

، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص ، ٢٤٥ –٢٤٦.

(٦٦) فريدريك نيتشه، نقيض المسيح، مرجع سبق ذكره، ص٥٨-٥٩ .

(٦٧) المرجع نفسه، ص، ٥٣-٥٤ .

(68) Nietzsche, F.W., Thus spake Zarathustra, op. cit., p. 107.

(٦٩) فريدريك نيتشه، نقيض المسيح، مرجع سبق ذكره، ص، ٤٦.

(٧٠) المرجع نفسه، ص ،٤٤- ٤٥ .

(٧١) فريدريك نيتشه، العلم المرح، مرجع سبق ذكره، ص، ١٣٢ .

(٧٢) المرجع نفسه، ص،١٣٥ .

(73) Nietzsche, F.W, thus spake zarathus tra, op. cit, p. 8.

(٧٤) فريدريك نيتشه، العلم المرح، مرجع سبق ذكره، ص ،٢٤٦.

(٧٥) جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، ترجمة أسامة كاج، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط١،

١٩٩٣، ص٨ .

(76) Nietszshce. F.W., Beyond good and evil' op. cit., p. 205.

(٧٧) الشيخ كامل محمد محمد عويضه، فردريك نيتشه، نبي فلسفة القوة، مرجع سبق ذكره ، ص ،٣٤-٣٥ .

(٧٨) عبدالرحمن بدوي ، نيتشه ، الكويت ، وكالة المطبوعات، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٥،ص ،٢٢٦.

(٧٩) جمال مفرح ، النقد الجينالوجي ، مجلة الجمعية الفلسفية ، القاهرة ، مركز الكتاب للنشر، العدد ١٢ ، ٢٠٠٣،ص،٢٠٣.

(٨٠) المرجع نفسه، ص ،٢٠٥.

(81) Niotzscho. F.W., Beyondgood and evil. Op. cit, p. 26.

(82) Nietzsche, F.W. thus spake Zarathustra, op. cit, p. 105.

(٨٣) مراد وهبه ، المعجم الفلسفى،،مرجع سبق ذكره ،ص، ٤٩٢.

أيضا، جميل صليبا، المعجم الفلسفى ، مرجع سبق ذكره ، ص ،١١٣.

(٨٤) فؤاد ذكريا، مرجع سبق ذكره، ص،١٣٨-١٣٩.

(85) Nietzsche, F.W. thus spake Zarathustra, op. cit, p .196.

(86) Ibid., p.197.

(٨٧) فؤاد ذكريا، مرجع سبق ذكره ، ص،١٤٢-١٤٣.

(٨٨) فريدريك نيتشه ،آفول الأصنام، مرجع سبق ذكره ، ص٣٢.

(٨٩) فريدريك نيتشه، هذا هو الأنسان ، مرجع سبق ذكره, ص، ١٢٨.

(٩٠) فريدريك نيتشه ,العلم المرح , مرجع سبق ذكره, ص،١٥٣.